الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور .خنشلة.

كلية: الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي
شعبة: اللغة والأدب العربي
التخصص: أدب قديم

صورة الوفاء في شعر ولادة بنت المستكفي

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة ماستر 2

إعداد الطالبة :
مرير نورة

إشراف الأستاذة
رواق حورية

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
قبايلي حميد	أستاذ محاضر –أ–	جامعة عباس لغرور خنشلة	رئيسا
رواق حورية	أستاذ محاضر –أ–	جامعة عباس لغرور خنشلة	مشرفا ومقررا
سليماني عواطف	أستاذ محاضر –ب–	جامعة عباس لغرور خنشلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر لله الذي وفقنا وأعاننا

والحمد لله الذي يسر لنا أمورنا

سبحانه نعم المرشد والمعين

فبعد أن أتممت مذكرتي، أتيت على

جزئيات البحث التي قدمتها في بدايته

وبهذا أتوجه بالشكر إلى الله تعالى أولا

وإلى كل من أفادني بالعلم حرفا ثانيا

وإلى كل من قصدته فأعانني ثالثا

دعاء من القلب بأن يجزيهم الله خيرا

كما أتقدم بخالص شكري وفائق احترامي لأستاذتي الفاضلة

"رواق حورية"على حسن التوجيه والنصح والثقة

كما أتقدم أيضا بالشكر لكل أساتذة كلية الأدب واللغات

بجامعة عباس لغرور خنشلة على كل المجهودات التي بذلوها طوال خمس سنوات

شكرا لكل من منحني وقته ونصائحه

... شكرا...

مقدمة

مقدمة:

تعد بلاد الأندلس من أهم البلدان التي أقام العرب في أقصى أراضيها، فراح شعرائها يذكرونها بنوع من الحنين والإعجاب بطبيعتها الخلابة، فكانت تختص بلونها المعماري الفريد من نوعه، وفكرها الأدبي الذي أضاف الجديد في الساحة الأدبية، لأنها كانت ذات حضارة عريقة مرجعها الحضارة الأدبية، ولكنها تتميز بطابعها الخاص الذي تمتزج فيه عبقرية الفكر بجمال الطبيعة الخلابة، ومنها برزت شخصيات جديدة في الساحة الأدبية أضفت كل ما هو جديد من الناحية الأدبية والفكرية؛ فقد جاءت بلاد الأندلس بعلوم جديدة ميزتها عن العلوم الأخرى، من أزجال وموشحات... ومنها أعطت لنفسها مكانة مرموقة في الأدب.

فنجد العديد من الشعراء الأندلسيين الذين تنوعت مواضيعهم الشعرية من شعر حرب وشعر غزل وشعر رثاء (وهو ما اشتهرت به بلاد الأندلس)، كان لشعرائها الدور الكبير في بروز هذه الأصناف الشعرية، وولادة بنت المستكفي من أهم الشخصيات البارزة في الساحة الأندلسية وكانت لي وقفة في دراسة قصائدها الشعرية بحثا عن صورة الوفاء.

انطلاقا من العنوان الذي اسند إلي البحث فيه تساءلت:

عن مفهوم الصورة؟ ومفهوم الوفاء؟ وهل للوفاء وجودْ في الشعر العربي القديم؟ وماهي مواطن الوفاء في شعر ولادة؟.

بناء على هذا التساؤلات قسمت دراستي وفق الخطة التالية، مقدمة وفصلين وخاتمة.

تناولت في المقدمة، نظرة عامة للأندلس وشعرائها، وإشارة للوفاء في شعر ولادة بنت المستكفي.

تناولت في المدخل، تعريفا للصورة من جانبها اللغوي والاصطلاحي، و الصورة عند العرب، وعند الغرب وكيف نظر إليها كل من الفريقين، وثم عرضت أنواعها وتعددها في جانبها الفني.

أما الفصل الأول: جاء بعنوان مظاهر الوفاء في الشعر العربي، استهليته بتعريف الوفاء من الجانب اللغوي والاصطلاحي، وعن أنواع الوفاء وتعدده، والوفاء في الشعر العربي القديم واختلافه عبر العصور.

أما الفصل الثاني: بعنوان تمظهرات الوفاء في شعر ولادة بنت المستكفي: الذي تفرع إلى عدة عناصر ضمنت دراسة الوفاء في شعر ولادة وعلاقتها بابن زيدون، ثم وقفت على حياة الشاعرة (أسرتها ونشأتها، وشعرها...)، ثم عرض مواطن شعر الوفاء عند ولادة بنت المستكفي في غزلها بابن زيدون، وفي العتاب والهجاء الذي وجهته الشاعرة في قصائدها له، ثم الوقوف عند وفاء وذكريات من قصائد ابن زيدون لولادة .

وذيلت البحث بخاتمة، تطرق فيها إلى أهم النتائج التي توصلت إليها.

وفيما يخص قائمة المصادر المراجع التي استخدمتها في بحثي فقد توزعت وفقا لفصلين منها: "دلائل الإعجاز"لعبد القاهر الجرجاني، كتاب "المحبة القيمة الرابعة وأبحاث في علم القيم"لمحمد بالروين، "**ديوان ورسائل**" لابن زيدون، وكتاب "**دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد**" يوسف عيد وغيرها....

وعــن المــنهج فقــد عمــدت إلــى المــنهج النفســي وذلــك لعلاقتــه الوطيــدة بالموضــوع (الوفــاء مــن الجانــب النفســي) الــذي يكشــف العلاقــة بــين وفــاء ولادة وابــن زيــدون، وكــان للمــنهج التحليلــي دور فــي تحليــل قصــائد ولادة واستخراج الوفاء الذي هو عنوان بحثي.

غيــر أننــي واجهــت مجموعــة مــن الصــعوبات حــول هــذا الموضــوع مــن قلــة للمصــادر والمراجــع التــي تخــدم موضــوع بحثــي هــذا، وقلــة الدراسات حول الوفاء في الساحة النقدية الأدبية .

فــي الأخيــر أشــكر هيئــة قســم الأدب العربــي بجامعــة عبــاس لغــرور، أســاتذة وطلبــة وكــل مــن قــدم لــي يــد العــون، كمــا أتقــدم بالشــكر لأســتاذتي الفاضلة لإرشادها لي في بحثي هذا، وأرجو من الله التوفيق.

مدخل

أ.الصورة لغة:

1.الصورة الشعرية عند القدماء:

2.مفهوم الصورة عند الغرب.

1.2.الصورة الشعرية عند اليونان.

2.2.الصورة الشعرية عند الغرب المحدثين.

3.أنواع الصورة.

أ.التشبيه وأبعاده التصويرية.

ب.الاستعارة وأبعادها التصويرية.

ج.الكناية وأبعادها التصويرية.

د.الحس وأبعاده التصويرية.

ه.مفهوم الخيال لغة.

و.مفهوم الخيال اصطلاحا.

أ.الصورة لغة:

لقـد جـاء تعريـف الصـورة الشـعرية فـي لسـان العـرب علـى أنهـا حقيقـة الشـيء وهيئتـه، وعلـى معنـى صـفته يقـال صـور الفعـل كـذا وكـذا، والجمـع صُـوَرٌ وصَـوِرٌ وصُـوْرٌ، وقـد صـوره فتصـور والصـور بكسـر الصـاد لغـة فـي الصور جمع صورةٍ وصورةً وصوره الله صورة حسنة فتصور.

حيـث جـاء فـي حـديث إبـن مقـران: أمـا علمـت أن الصـورة محرمـة؟ فقـد أراد بالصـورة الوجـه وتحريمهـا المنـع مـن الضـرب واللطـم علـى الوجـه[1]، وتجـري معـاني الصـورة كلهـا عليـه، إن شـئت ظاهرهـا أو هيئتهـا أو صيغتها.

والصـورة بالضـم الشـكل، والهيئـة والحقيقـة (ج صـور)، وقـد صـور صـورة حسـنة فتصـور الشـكل[2]. حيـث قـال أيضـا المصـنف فـي البصـائر: "الصـورة مـا ينـتقش بـه الإنسـان ويتميـز بهـا عـن غيـره وذلـك ضربان:

ضـرب محسـوس يدركـه الخاصـة والعامـة بـل يـدركها الإنسـان وكثيـر من الحيوانات كصورة الإنسان والفرس.

والضـرب الثـاني معقـول يدركـه الخاصـة دون العامـة كالصـورة التـي اختص الإنسان بها من العقل والمعاني التي يتميز بها"[3].

---

(1) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، م8، دار صادر، بيروت، لبنان، سنة 1863م، دط،ص 354.

(2) محمد مرتظى بن محمد الحسني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ج11، سنة1971م، دط، ص 187.

(3) المصدر نفسه، ص 354.

فالصـــورة الشـــعرية فـــي المفهـــوم الاصـــطلاحي هـــي تركيـــب لغـــوي يســـتطيع الشـــاعر مـــن خلالـــه أن يقـــوم بتصـــوير معنـــى مـــن العقـــل أو العاطفـــة، ويجعلـــه حاضـــرا علـــى أرض الواقـــع أمـــام المتلقـــي معتمـــدا علـــى التشـــخيص، أو المشـــابهة والتجســـيد، وقـــد تبـــين هـــذا المفهـــوم بـــين القـــديم والحـــديث، ولـــذلك فالصـــورة تـــنظم فـــي مفهومهـــا العـــام بوصـــفها تركيبـــة عقليـــة تنتهـــي فـــي جوهرهـــا إلـــى عـــالم الفكـــر والتطـــور والخيـــال أكثـــر مـــن انتمائهـــا إلـــى عـــالم الواقـــع، وهـــي بـــذلك لا تظهـــر علـــى أنهـــا فـــي جوهرهـــا تمثـــل تركيبـــة عقليـــة، وعاطفيـــة وانفعاليـــة فـــي لحظـــة مـــن الـــزمن، تعبـــر عـــن تجربـــة مـــا تعبيـــرا تشـــكيليا وعلـــى هـــذا الأســـاس، يمكننـــا أن نعـــد الصـــورة هـــي البـــؤرة التـــي تنطلـــق منهـــا خيـــوط التشـــكيل الشـــعري المتـــين مـــن دون اكتمـــال حلقـــة النســـيج على أفضل ما يكون[1].

وبـــذلك يمكـــن النظـــر إلـــى الصـــورة الشـــعرية علـــى اخـــتلاف أشـــكالها وأنماطهـــا وأنواعهـــا، بأنهـــا أخطـــر أنـــواع أو أدوات الشـــاعر بـــلا منـــازع بحيـــث لا نســـتطيع أن نتصـــور وجـــود قصـــيدة مـــن دون صـــورة أو مجموعـــة صـــور شعرية.

وقـــد جـــاء فـــي قولـــه تعـــالى ﴿**وصَـــوَّركم فأَحْسَـــنَ صُـــوَرَكُمْ**﴾ ســـورة غـــافر الآية 64.

وقـــال عـــز وجـــل أيضـــا ﴿**وَفِـــي أَيِّ صـــورة مـــا شـــاء رَكَّبَـــك**﴾ ســـورة الانفطـــار الآية 08.

حيـــث تعتبـــر الصـــورة هـــي الأداة التـــي يتخـــذ الشـــاعر بواســـطتها التـــأثير فـــي المتلقـــي بإيحـــاءات ورمـــوز، وأهميـــة الصـــورة فـــي العمـــل الشـــعري جعلهـــا

---

[1] العبيد سليمان علوان، البناء الفني في القصيدة الجديدة، عالم الكتب الحديثة، أربد، الأردن، 2001م ، ط1، سنة ، ص 73.

محـــط العنايـــة مـــن طـــرف الدارســـين والنقـــاد القـــدامى والمحـــدثين علـــى الســـواء، وفي إعطاء مفهوم لغوي للصورة.

1.الصورة الشعرية عند القدماء:

حظيـــت الصـــورة الفنيـــة عنـــد القـــدماء بالدراســـة والتحليـــل والاهتمـــام، حيـــث لا يمكـــن أن ننكـــر جهـــودهم فـــي إيجـــاد تحديـــد للصـــورة الشـــعرية وليســـت الصـــورة الشـــعرية شـــيئا جديـــدا، وبمـــا أن الشـــعر قـــائم علـــى التصـــوير وذلـــك منـــذ القـــديم، فمـــن الطبيعـــي أن يكـــون النقـــاد القـــدماء قـــد تعرضـــوا لمفهـــوم الصـــورة الشـــعرية وعلـــى رأســـهم عبـــد القـــادر الجرجـــاني، وقـــد جـــاء فـــي قولـــه "وأعلـــم أن قولنـــا الصـــورة إنمـــا هـــو تمثيـــل قيـــاس نعلمـــه بعقولنـــا علـــى الذي نراه بأبصارنا"[1].

حيـــث يبـــين عبـــد القـــادر الجرجـــاني إلـــى أن الصـــورة الشـــعرية هـــي الشكل الذي تتشكل فيه المعاني حقيقة أم مجازية.

وجـــاء أيضـــا فـــي قـــول الجـــاحظ عـــن الصـــورة الشـــعرية "بلغـــه أن أبـــا عمـــرو الشـــيباني استحســـن بيتـــين مـــن الشـــعر لمعناهـــا مـــع ســـوء عبارتهـــا، فقـــال: ذهـــب الشـــيخ إلـــى استحســـان المعنـــى والمعـــاني مطروحـــة فـــي الطريـــق يعرفهـــا العجمـــي والعربـــي والبـــدوي والقـــروي، وإنمـــا الشـــأن فـــي إقامـــة الـــوزن فـــي تخييـــر اللفـــظ وســـهولة المخـــرج وكثـــرة ..... وفـــي صـــحة الطبـــع وجـــودة الشـــبك فإنمـــا الشـــعر صـــناعة وضـــرب مـــن النســـيج وجـــنس مـــن التصوير"[2].

---

(1) عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1992،ط3، ص 254-255.

(2) الجاحظ، الحيوان، ت عبد السلام هارون، المجمع العلمي الغربي الإسلامي، بيروت، ج3، 1969م،ط3، ص 131-132.

فمـــن هنـــا فالشـــعر عنـــد الجـــاحظ أنـــه صـــناعة ونـــوع مـــن النســـيج المترابط وجنس من الأجناس الفنية القائمة على التصوير.

"ويبـــدو أنـــه يقصـــد بالتصـــوير الصـــياغة الحاذقـــة التـــي تهـــدف إلـــى تقـــديم المعنـــى تقـــديما حســـيا، وتشـــكيله علـــى نحـــو تصـــويري....، لـــذا يعـــد التصوير الجاحظي خطوة نحو التحديد الدلالي لمصطلح الصورة"[1].

فلـــو أخـــذنا هـــذا القـــول نجـــده يركـــز علـــى الألفـــاظ التـــي تمتـــاز بســـهولة المخـــرج وبشـــرط أن تكـــون هـــذه الألفـــاظ تـــؤدي معنـــى واضـــح للفكـــرة، فـــالمعنى عنـــده مطـــروح علـــى كـــل شـــخص، ومـــن ذلـــك فـــإن "الشـــعر بحـــد ذاتـــه قـــائم علـــى الصـــورة الشـــعرية، أو مبنـــي عليهـــا ولكـــن اســـتعمالها قـــد يختلـــف مـــن شـــاعر إلـــى آخـــر، كمـــا أن الشـــعر الحـــديث يختلـــف عـــن الشـــعر القـــديم في استعماله للصورة الشعرية"[2].

الصورة الشعرية من المنظور الحداثي:

نالـــت الصـــورة الشـــعرية فـــي الآونـــة الأخيـــرة حيـــزا كبيـــرا واهتمامـــا واســـعا مـــن قبـــل الدارســـين والبـــاحثين، وعـــرف مصـــطلح الصـــورة الشـــعرية الاهتمـــام الأكبـــر مـــن الدراســـات الأدبيـــة، ولا يمكـــن إنكـــار هـــود المحـــدثين فـــي إعطـــاء تعريـــف للصـــورة الشـــعرية إلا "أن اســـتيراد المنـــاهج والآراء الجـــاهزة دون حـــس نقـــدي حقيقـــي، ودون اســـتيعاب لخصوصـــية التـــراث الشـــعري العربـــي، حالت دون إيجاد تعريف دقيق وشامل للصورة الشعرية"[3].

---

(1) بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العرب1،بيروت، 1994م،ط1، ص 21.

(2) إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة، 1955م، ط3،ص 230.

(3) ريتا عوض، بنية الشعر الجاهلي لدى امرؤ القيس، دار الآداب، بيروت، 1992م، ط1،ص 18-19.

يمكـــن التعـــرف علـــى مفهـــوم الصـــورة الشـــعرية عنـــد بعـــض النقـــاد المحـــدثين قـــد بـــدأ أحمـــد الشـــايب يـــرى أن الصـــورة الشـــعرية "هـــي المـــادة التـــي تتركـــب مـــن اللغـــة بـــدلالتها اللغويـــة الموســـيقية، ومـــن الخيـــال الـــذي يجمـــع بـــين عناصر التشبيه والاستعارة والكناية والطباق وحسن التعليل"[1].

فمـــن خـــلال هـــذا التعريـــف نســـتطيع القـــول أن الصـــورة الشـــعرية هـــي العبـــارة الخارجيـــة للحالـــة الداخليـــة، وأن مقياســـه الجيـــد هـــو قـــدرتها علـــى نقـــل الفكـــرة والعاطفـــة بدقـــة، وهـــذا هـــو قياســـها الأصـــيل ويرجـــع جمالهـــا إلـــى ذلـــك التناســـب فيمـــا بـــين عناصـــرها المكونـــة لهـــا ومـــا تصـــور مـــن عقـــل الكاتـــب ومزاجه فهو تصوير دقيق وفيه روح الأديب وقلبه.

ولقـــد عـــرض محمـــد غنيمـــي هـــلال تعريفـــات متعـــددة للصـــورة الشـــعرية، ومنهـــا قولـــه "أن نـــدرس صـــورة الشـــعرية فـــي معانيهـــا الجماليـــة وفـــي صـــلتها بـــالخلق الغنـــي والأصـــالة، ولا يتيســـر ذلـــك إلا إذا نظرنـــا لاعتبـــارات التصـــوير فـــي العمـــل الأدبـــي، وإلـــى موقـــف الشـــاعر فـــي تجربتـــه، وفـــي هـــذه الحـــالات تكـــون طـــرق التصـــوير الشـــعرية وســـائل جمـــال فنـــي مصـــدره أصـــالة الكاتـــب فـــي تجربتـــه وتعمقـــه فـــي تصـــويرها ومظهرهـــا فـــي الصـــورة النابعـــة مـــن داخـــل العمـــل الأدبـــي والمتـــآزرة معـــا علـــى إبـــراز الفكـــرة مـــن ثوبهـــا الشعري"[2].

ونجـــد أيضـــا أحمـــد حســـن الزيـــات يـــرى أن الصـــورة الشـــعرية تتمثـــل فـــي "إبـــراز المعنـــى العقلـــي أو الحســـي فـــي صـــورة محسوســـة، والصـــورة الشـــعرية

---

[1] أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، النهضة المصرية، القاهرة، 1973م،ط2، ص 248.

[2] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة للطباعة، القاهرة، مصر، 1984م،دط، ص 287.

خلــق خلــف المعــاني والأفكــار المجــردة، والواقــع الخــارجي مــن خــلال الــنفس خلقا جديدا"[1].

فمــن خــلال هــذا التعريــف نســتطيع القــول أنــه يبــرز المعنــى فــي الصــورة الشــعرية المحسوســة ولكنــه يشــترط أن يــتم ذلــك مــن خــلال ذات المبدع ووجهة نظر خاصة به.

وجــاء أيضــا فــي توضــيح علــي الصــبح عــن الصــورة الشــعرية قولــه "هــي التركيــب علــى الأصــالة فــي التنســيق الغنــي الحــي لوســائل التعبيــر التــي ينتقيهــا الشــاعر-أي خــواطره ومشــاعره وعواطفــه- المطلــق مــن عــالم المحســات ليكشــف عــن حقيقــة المشــهد والمعنــى فــي إطــار قــوي تــام محســن مؤثر على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين"[2].

"وبتجربــة الشــاعر تجســد فكــره أو عاطفتــه وتكــون ذات صــلة قويــة بالمشاعر التي تسيطر على القصيدة وتصبح جزء منها"[3].

ويمكــن القــول أن الصــورة الشــعرية هــي وســيلة الأديــب بتكــوين رؤيتــه ونقلهــا للآخــرين، وهــي اســتدعاء للألفــاظ والعبــارات والخيــال والموسيقى مع مزج ذلك بوجدان الشاعر وبعاطفته.

ويــرى جــابر عصــفور أن "الصــورة الشــعرية وجــه مــن أوجــه الدلالــة تنحصــر أهميتهــا فيمــا تحدثــه فــي معنــى مــن المعــاني مــن خصوصــية وتــأثير، ولكــن أنــا كانــت هــذه الخصوصــية أو ذلــك التــأثير، فــإن الصــورة

---

(1) أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، ، القاهرة، مصر، 1973م، ط2، ص 62-63.

(2) علي الصبح، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دار الأحياء للكتاب القاهرة، مصر،دت،دط، ص 149.

(3) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، المرجع السابق، ص 288.

الشـــعرية لـــن تغيـــر مـــن طبيعـــة المعنـــى بذاتـــه، إنمـــا لا تغيـــر مـــن طريقـــة عرضه وكيفية تقديمه"[1].

فالصـــورة الشـــعرية عنـــده هـــي عـــرض لأســـلوب يحـــافظ علـــى ســـلامة النص، من التشويه ويقدم المعنى بتعبير رتيب.

ويتضـــح ممـــا ســـبق أن الصـــورة الشـــعرية هـــي الأداة التـــي يعبـــر عنهـــا أو بهـــا الشـــاعر عـــن تجربتـــه وذلـــك فـــي إطـــار الوحـــدة والانســـجام مـــع اعتبـــار العاطفـــة وإيحائهـــا ســـواء كانـــت الصـــورة حقيقيـــة أم مجازيـــة، ويمكـــن القـــول "أن الصـــورة تعبيـــر عـــن الـــنفس أو عـــن نفســـية الشـــاعر ...، وهـــي تعـــين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهر للقصيدة"[2].

حيـــث ينتهـــي هكـــذا تجميـــع العناصـــر واختيارهـــا إلـــى تعريـــف تقريبـــي للصـــورة الشـــعرية بأنهـــا "صـــورة حســـية فـــي كلمـــات إســـتعارية إلـــى درجـــة مـــا فـــي ســـياقها نغمـــة خفيضـــة مـــن العاطفـــة الإنســـانية، ولكنهـــا أيضـــا شـــحنة منطلقة إلى القارئ –عاطفة شعرية خالصة– أو انفعالا"[3].

ومـــن ذلـــك لا يمكـــن أن نغفـــل جهـــود نقادنـــا القـــدامى الســـابقين ومـــع تقـــديرنا لمـــا بذلـــه النقـــد القـــديم مـــن جهـــة قضـــايا الصـــورة الشـــعرية وقـــد نـــال عناية واهتماما كبيرا في العصر الحديث.

وبهـــا فالصـــورة الشـــعرية فـــي القـــديم "تميـــل علـــى البســـاطة والوضـــوح لأن كـــل شـــيء فـــي البيئـــة العربيـــة كـــان بســـيطا، بينمـــا فـــي العصـــر الحـــديث أصـــبحت الصـــورة الشـــعرية أكثـــر عمقـــا وتشـــابكا وتعقيـــدا، وقـــد ضـــمت

---

(1) جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار التنوير، بيروت، 1992م،ط3، ص 392.

(2) مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، لبنان،دت،دط، ص 217.

(3) محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة، مصر،دت ،دط،ص 32.

القصـــيدة الحديثـــة إلـــى جانـــب الشـــعر، الأســـاطير–والتـــاريخ، والقصـــص والمعرفة"[1].

وعليـــه فالصـــورة الشـــعرية هـــي تركيـــب لغـــوي يجعـــل الشـــاعر يصـــور تصـــوير عـــاطفي متخيـــل وعقلـــي ليكـــون المعنـــى قويـــا أمـــام المتلقـــي ويتمتـــع بجماليتها.

2.مفهوم الصورة عند الغرب:

1.2.الصورة الشعرية عند اليونان:

لقـــد ســـجل الشـــعر اليونـــاني كثيـــرا مـــن أعمـــال الفلاســـفة والمفكـــرين فـــي الأدب وقـــد نجـــد فـــي طليعـــة أولئـــك الفلاســـفة المهتمـــين بـــالأدب والنقـــد كأفلاطون وأرسطو وسقراط.

حيـــث كـــان الأدب اليونـــاني لـــه ارتبـــاط بـــالأدب والمعتقـــدات الدينيـــة ونجـــد مصـــطلح الصـــورة فـــي الفلســـفة اليونانيـــة وعنـــد الفلســـفة الأرســـطية فقـــام "أرســـطو بالفصـــل بـــين المـــادة وشـــكلها ونتيجـــة التـــداخل بـــين المعـــارف انتقـــل مصـــطلح الصـــورة بمفهومـــه الفلســـفي إلـــى حقـــل الأدب، شـــعره ونثـــره، ليـــتم الفصـــل بـــين اللفـــظ والمعنـــى، باعتبـــار اللفـــظ صـــورة والمعنـــى مـــادة الصورة"[2].

فهنـــا يبـــين لنـــا مصـــطلح الصـــورة مـــن حيـــث الفصـــل بـــين اللفـــظ والمعنى.

ونجد رواد الاتجاه النفسي في النقد الأدبي يرفقون بالصورة مفهوما آخر، يزيد في تعميق ماهيتها وعلى رأسهم سيغموند فرويدsigmund freud " أن الرمزية ليست خاصة

---

(1) عبد الفتاح، الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر للنشر، عمان، 1983م، دط، ص 98.

(2) بوعامر كريمة، الصورة في شعر السياب أنشودة المطر أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001، 2002، ص 08.

من خواص الأحلام، بل من خواص التفكير اللاشعوري ...، نقتصرها هنا على القول بأن التصوير بواسطة الرمز يدخل في منهاج التصوير غير المباشر"[1].

2.2.الصورة الشعرية عند الغرب المحدثين:

يعرف الشاعر الفرنسي بيار ريفاندي pierre revendy الصورة الشعرية على أنها "إبداع ذهني صرف، يعتمد أساسا على الخيال والعقل، هو وحده الذي يدرك علاقاته"[2].

فالصـــورة إذن عنـــده هـــي إبـــداع ذهنـــي يعتمـــد علـــى الخيـــال والعقـــل، وإلـــى جانـــب بيـــار ريفانـــدي نجـــد الشـــاعر الإنجليـــزي "آزرايـــاون أشـــار إلـــى أنـــه مـــن الفضـــل تقـــديم صـــورة شـــعرية واحـــدة طـــول الحيـــاة، مـــن إنتـــاج كتـــب عديدة"[3].

فهنا الشاعر يبين لنا أهمية الصورة، وعلى أنها أعلى مستوى من إنتاج الكتب، وكذلك الشاعر الإنجليزي دي بويسSt. Genevieve، فهو كذلك يبين أهمية الصورة وظهورها فيقول "إن الغرابة والجرأة والخصب في الصورة في نقطة القوة والشيطان المسيطر في الشعر المعاصر..." [4].

فهنـــا يبـــين لنـــا الشـــاعر الإنجليـــزي بـــأن الصـــورة فـــي الشـــعر المعاصـــر هي تلك التي تكمن في الغرابة والجرأة والخصب.

ومن الذين تحدثوا أيضا عن الصورة الشعرية عند الغرب نجد آندري بروتون André Breton ، فهـو يـرى "أن الصـورة إبـداع خـالص للـذهن، لا يمكـن أن تنـتج عـن مجـرد المقارنـة أو التشبيه، بل هو نتاج للمقارنـة بين واقعين متباعدين، وبقدر ما تكون علاقة الواصفين نقية وصادقة بقدر ما تكون الصورة قوية ومحققة لهدف الشاعر"[5].

---

(1) المرجع السابق، ص 19.

(2) مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974م، ص 237.

(3) سي دي لويس، الصورة الشعرية، تر أحمد نصيف الجنابي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982م، دط ،ص 29.

(4) معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، المصدر السابق، ص 237.

(5) محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، الإسكندرية، القاهرة،دت، دط، ص 11-12.

فالشـــاعر يبـــين لنـــا أن الصـــورة كلمـــا كـــان واقعهـــا بعيـــدا كلمـــا كانـــت الصورة أوضح أكثر، ولها هدف كبير لدى الشاعر.

3.أنواع الصورة:

أ.التشبيه وأبعاده التصويرية:

هـــي تعنـــي المماثلـــة، حيـــث يلجـــأ الشـــاعر علـــى التشـــبيه كعنصـــر مـــن عناصـــر التشـــبيه الجماليـــة، حيـــث تســـاعده علـــى رســـم صـــورة جديـــدة، والتـــي تعتبر جزء من عالمه الذاتي الخاص به، والمعبر عن خلاصة رؤاه.

وقـــد جـــاء فـــي قـــول الجرجـــاني "هـــو محـــض مقاربـــة بـــين طـــرفين متمـــايزين الاشـــتراك بينهمـــا فـــي الصـــفة نفســـها، أو فـــي مقتضـــى أو حكـــم لها"[1].

وعنـــد علمـــاء البيـــان "فالتشـــبيه عنـــدهم هـــي مشـــاركة أمـــر لأمـــر فـــي معنى بأدوات معلومة"[2].

"وتمثـــل بلاغـــة التشـــبيه فـــي البيـــان والإيضـــاح، وتقريـــب الشـــيء إلـــى الإفهـــام وأكثـــر مـــا يســـتعمل فـــي العلـــوم والفنـــون...، أمـــا البلاغـــة مـــن حيـــث الصـــورة الكلاميـــة التـــي يوضـــح فيهـــا مـــا تفاوتتـــه فأقـــل التشـــبيهات مرتبـــة فـــي البلاغة ما ذكرت أركانه جميعا"[3].

كمـــا نظـــر البلاغيـــون العـــرب إلـــى التشـــبيه بوصـــفه "الأســـلوب الـــذي لا تســـتطيع البلاغـــة أن تســـتغني عنـــه، حتـــى أن بعـــض مـــن هـــؤلاء رفعـــه إلـــى

---

(1) جمال سعادنة، الشعر الجزائري في العهد العثماني، موضوعاته وخصائصه الفنية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2011/2010م، ص 310.

(2) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الجيل، بيروت، لبنان،دت، دط، ص 157.

(3) المرجع السابق، ص 176-177.

مكانـــة ســـامية، معتبـــرا إيـــاه مـــن أشـــرف أنـــواع البلاغـــة، وأنـــه يضـــع برهانـــا إلـــى مقدرة الشاعر الإبداعية وخطته العقلية"[1].

فـــالبلاغيون هنـــا يـــرون بـــأن التشـــبيه هـــو العنصـــر الـــذي لا تســـتطيع البلاغـــة أن تفقـــده، وهـــي التـــي تبـــين مـــدى قـــدرة الشـــاعر وإمكانياتـــه العقليـــة والإبداعية.

ب.الإستعارة وأبعادها التصويرية:

تعـــد الاســـتعارة مـــن أهـــم وســـائل تشـــكيل الصـــورة الشـــعرية، وهـــي تلتقـــي فـــي أســـمى معـــالم هـــذه الصـــورة، ويبـــدو أنهـــا أكثـــر منـــه تخـــيلا وأعمـــق تصـــويرا وهـــي فـــي حقيقتهـــا تشـــبيه حـــذف أحـــد طرفيـــه إمـــا المشـــبه أو المشـــبه بـــه، ومـــع ذلـــك فقـــد أدرك العـــرب القـــدماء أهميـــة الاســـتعارة ومـــدى مـــا تقدمـــه للصـــورة مـــن جمـــال، إذا مـــا أحســـن اختيارهـــا، فقـــد أشـــار عبـــد القـــاهر الجرجـــاني إلـــى أن مكمن جمال الاستعارة في خفائها.

"وأعلـــم أن مـــا نشـــأ فـــي الاســـتعارة أنـــك كلمـــا زدت التشـــبيه إخفـــاء إزدادة الاستعارة حسنا"[2].

وقـــال أيضـــا الســـكاكي "هـــي أن تأخـــذ أحـــد طرفـــي التشـــبيه وتريـــد منـــه الآخـــر مـــدعيا المشـــبه فـــي جـــنس المشـــبه بـــه، دالا علـــى ذلـــك بإثباتـــك للمشـــبه ما يخص المشبه به"[3].

بحيـــث تقـــوم الاســـتعارة علـــى ثلاثـــة أركـــان رئيســـية والمتمثلـــة فـــي المســـتعار منـــه وهـــو المشـــبه بـــه، والمســـتعار لـــه، وهـــو المشـــبه، والمســـتعار

---

(1) سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1991م،ط1، ص 151.

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م،ط1 ،ص 293.

(3) حسين علي الدخيلي، البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، ك1، 2011م، ص 104.

وهـــو اللفـــظ الـــذي جـــرت فيـــه الاســـتعارة، وتنقســـم إلـــى أقســـام عديـــدة لكـــن أهمها:

أ.الاستعارة التصريحية:

وهي ما صرح بلازمة من لوازمه وهو المشبه به.

ب.الاستعارة المكنية:

وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه.

جـ.الكناية وأبعادها التصويرية:

الكنايـــة أســـلوب لا يتيســـر لكـــل الشـــعراء، وإنمـــا لـــه خصائصـــه ومميزاتـــه التـــي تميـــزه عـــن غيـــره، والتـــي تقـــف حـــائلا أمـــام ولـــوج بعـــض الشـــعراء إليـــه، حيـــث يرجـــع عبـــد القـــاهر الجرجـــاني فـــي كتابـــه أســـرار البلاغـــة، علـــو منزلـــة الكنايـــة وبلاغتهـــا مـــن التصـــريح بقولـــه "لـــيس المعنـــى إذا قلنـــا أن الكنايـــة أبلـــغ من التصريح"[1].

ولهـــذا تعـــد الكنايـــة مـــن أدق وألطـــف الأســـاليب البلاغيـــة، وكمـــا أنهـــا أبلغ في الحقيقة والتصريح.

"وهـــي لفـــظ أطلـــق وأريـــد بـــه لازم معنـــاه مـــع جـــواز إرادة ذلـــك المعني"[2].

وتنقسم الكناية باعتبار المكني عنه إلى ثلاثة أقسام.

كناية عن صفة، كناية عن موصوف، وكناية عن تشبيه.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ت محمد الفاصلي، المكتبة العصرية ، بيروت، لبنان، 2003م، ط1، ص 36-37.

(2) علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، 1999م،دط، ص 125.

"فالكنايـــة غايـــة لا يعمـــل إليهـــا إلا مـــن لطـــف طبعـــه وصـــفت قريحتـــه والسر في طيها برهانها"[1].

د.الحس وأبعاده التصويرية:

لقـــد جـــاء فـــي لســـان العـــرب مفهـــوم الحـــس لغـــة "الحَـــسُّ والحَسِـــيسُ الصـــوت الخفـــي"[2]. "والحِـــسُّ بكســـر الحـــاء مـــن أحسســـت بالشـــيء حِـــسَّ بالشيء حِسًا، وحِسًا وحَسِيسًا وأحَسَّ به"[3].

وبالتـــالي فمـــادة حَـــسَّ تـــدل فـــي الغالـــب علـــى شـــيء خفـــي ســـواء مجـــازي أو حقيقي.

وأما المفهوم الاصطلاحي للحِسِّ:

نجـــد أكثـــر مـــن تنـــاول أعمـــاق الحـــس هـــم الفلاســـفة حيـــث قســـموا الحـــس إلى حس الظاهر والباطن.

فـــالحس الظـــاهر أو القـــوة الحســـية هـــي التـــي تـــدرك المحسوســـات الخمـــس المعروفـــة عنـــد الجميـــع، غيـــر أن الحـــس الظـــاهر لا يتميـــز بـــين مـــا هو ضار ونافع، وما هو جميل وقبيح.

يـــرى الكنـــدي "أن الحـــس لا يـــدرك الصـــورة إلا وهـــي فـــي طياتهـــا، ولنقـــل إلـــى الحـــس البـــاطن وقـــد حـــددها كـــل مـــن الفـــارابي وابـــن ســـينا بخمـــس قـــوى، هـــي الحـــس المشـــترك والصـــورة أو الخيـــال والمتخيلـــة أو الـــوهم، والحافظـــة، ونجـــد الكنـــدي قـــد اقتصـــر حديثـــه علـــى قـــوى الـــنفس إذ قســـمها إلى ثلاثة قوى هي القوى الحسية والقوى المصورة والقوى العقلية"[4].

---

(1) المرجع نفسه، حسين علي الدخيلي، البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية، ص 111.

(2) المصدر نفسه، ابن منظور، لسان العرب، م4، ص 118.

(3) المصدر نفسه، ص 118.

(4) المرجع السابق، ص 167.

هـ.مفهوم الخيال لغة:

تعتبـــر مـــادة التخيـــل ومشـــتقاتها مـــن أكثـــر المـــواد العربيـــة خصـــوبة واتساعا، فإذا تصفحنا قواميس اللغة نجد في لسان العرب لابن منظور:

"الخيـــال هـــو خيـــال الطـــائر يرتفـــع فـــي الســـماء فينظـــر إلـــى ظـــل نفســـه فيرى أنه صيد فينقض عليه، ولا يجد شيئا فهو خاطف ظله"[1].

و.مفهوم الخيال اصطلاحا:

الخيـــال لـــدى الشـــاعر هـــو الـــذي يتجـــاوز حـــدود العقلانيـــة التـــي تـــزعم أنهـــا تبـــرز مـــن خـــلال تحليـــل بســـيط لمكونـــات الاســـتعارة أو التشـــبيه أو الكناية، فهو يتجاوز حدود الواقع المادي الذي يخيل إلينا.

ويقـــول أحمـــد الشـــايب "إنـــه مـــن الصـــعب إعطـــاء تعريـــف شـــامل ودقيـــق للخيـــال لأن هـــذه الكلمـــة تـــرد فـــي العبـــارات المبهمـــة، ولأنهـــا كـــذلك تـــدل علـــى صورة عقلية متشابهة وإن لم تكن متحدة"[2].

ومـــن ذلـــك فحقيقـــة الخيـــال غامضـــة، صـــعبة التفســـير، كمـــا أن التخيـــل يطلـــق علـــى العمليـــة الفكريـــة التـــي يقصـــد منهـــا تـــذكر الأشـــياء علـــى حقيقتهـــا الطبيعيـــة، فالصـــورة الشـــعرية هـــي خلـــق جديـــد يمكـــن القـــول أنهـــا تعتمـــد علـــى الخيال ومعطيات العقل.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، م5، ص 193.

(2)أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، المرجع السابق، ص 221.

الفصل الأول

1.المدلول اللغوي للوفاء

*لفظة الوفاء في القرآن الكريم

2.المدلول الاصطلاحي للوفاء

3.الوفاء في الشعر العربي

أ.الوفاء في العصر الجاهلي

ب.الوفاء في عصر صدر الإسلام

د.الوفاء في العصر العباسي

و.الوفاء في الأندلس

1.المدلول اللغوي للوفاء:

يعتبـــر عـــالم القـــيم مـــن علـــم الغرائـــز الحميـــدة وكـــريم الشـــيم وفاضـــل الأخـــلاق فـــي الحـــب وغيـــره، ومصـــطلح الوفـــاء مـــن القـــيم الأخلاقيـــة التـــي تـــدور فـــي ذاتيـــة الإنســـان، ولهـــذا المصـــطلح مـــدلولات لغويـــة عديـــدة، منهـــا مـــا جـــاء فـــي معجـــم مقيـــاس اللغـــة "(وفـــى): الـــواو والفـــاء والحـــرف المعتـــل فهـــي كلمـــة تـــدل علـــى إكمـــال وإتمـــام منـــه الوفـــاء، إتمـــام وإكمـــال، ووفـــى أَوْفَـــى فهـــو وَفِيٌّ"[1].

وجـــاء أيضـــا فـــي المعجـــم الوســـيط ومنـــه "(وفـــى): الشـــيء يفـــي وفـــاء وفيـــا ويقـــال وفـــت أذنـــه ظهـــر صـــدقه فـــي أخبـــاره كمـــا ســـمع وهـــذا الشـــيء لا يعني بذلك، أي يقصر عنه ولا يوازيه والدهم والمثقال عادله"[2].

وجـــاء أيضـــا عنـــد الراغـــب الأصـــفهاني عـــن الوفـــاء "الـــوافي: الـــذي بلـــغ الـــذمام، يقـــال: درهـــم واف وكيـــل واف، أوفيـــت الكيـــل والـــوزن، قـــال تعـــالى ﴿وَأَوْفُـــوا الْكَيْـــلَ إِذَا كِلْـــتُمْ﴾[سـورة الإسـراء، الآيـة 35]، وفـــى بعهـــده يعنـــي وفـــاء، وأوفـــى إذا تمـــم العهـــد ولـــم يـــنقص حفظـــه واشـــتقاق ضـــده، وهـــو الغـــدر يدل على ذلك وهو الترك، وتوفيت الشيء بذله وافيًا"[3].

والفـــاء عنـــد الفيـــروز آبـــادي حيـــث قـــال فـــي معنـــى الوفـــاء لغـــة: "وفـــي بالعهـــد كـــوعي، وفـــاءًا، ضـــد غـــادر، كـــأوفى والشـــيء وفيـــا كصـــلى، تـــم وكثـــر فهـــو وفـــي ووافٍ، وقـــد أضـــاف علـــى مـــا قالـــه ابـــن منظـــور وابـــن فـــارس والأصفهاني في أن الموفية اسم للمدينة المنورة"[4].

---

(1) أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، م6، بيروت لبنان،دت، دط، ص 139.

(2) إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، من (هـ إلى ض)، ج1، إسطنبول، تركيا، دت، دط، ص 1047.

(3) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دار الشامية، م1، دمشق، بيروت، 2009، ط4، ، ص 878.

(4) ينظر: عبد الله البستاني، البستان، معجم لغوي مطول، مكتبة لبنان للنشر، 1992، ط1، ص 1242.

لفظة الوفاء في القرآن الكريم:

وقـد جـاء اسـتعمال مصـطلح الوفـاء فـي القـرآن الكـريم بصـيغ مختلفـة ومتنوعـة، فتـارة يـأتي الوفـاء بعهـد الله كمـا قـال تعـالى "﴿**يَا بَـــنِي إِسْرَائِيـــلَ اذْكُـــرُوا نِعْمَـــتِيَ الَّـــتِي أَنْعَمْـــتُ عَلَـــيْكُمْ وَأَوْفُـــوا بِعَهْـــدِي أُوفِ بِعَهْـــدِكُمْ وَإِيَّايَ فَـــارْهَبُونِ**﴾[سـورة البقـرة، الآيـة 40]. فهنـا فـي هـذه الآيـة الكريمـة ذكـر لنـا عـز وجـل نـوع مـن أنـواع الوفـاء والمتمثـل فـي الوفـاء بعهـد الله أي أن يكـون مـع الله عـز وجـل، وقـد جـاء أيضـا فـي سـورة الأنعـام الآيـة 152 يـذكر هـذا النـوع مـن الوفـاء، قـال تعـالى ﴿**وَبِعَهْـــدِ اللَّهِ أَوْفُـــوا ذَٰلِـــكُمْ وَصَّـــاكُم بِـــهِ لَعَلَّـــكُمْ تَـــذَكَّرُونَ**﴾[الأنعـام، الآيـة 152]، وتـارة أخـرى يـأتي بعمـوم الوفـاء كقولـه تعـالى ﴿**يَا أَيُّهَـــا الَّذِيـــنَ آمَنُـــوا لِـــمَ تَقُولُـــونَ مَـــا لَا تَفْعَلُـــونَ كَـــبُرَ مَقْتًـــا عِنـــدَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[الصف، الآية 2-3].

فقـد ورد فـي هـذه الآيـة نـوع آخـر مـن الوفـاء، وهـو الوفـاء بـالقول والفعـل مـع النـاس، وهكـذا يـأتي اهتمـام القـرآن الكـريم فـي تنميـة قـيم الوفـاء والحـث عليهـا، فهـو لا يقتصـر فقـط علـى الوفـاء بالمواعيـد والعهـود، والكيـل والميـزان، بـل المعنـى أشـمل مـن ذلـك، وتتجلـى عظمـة التربيـة القرآنيـة وروحهـا، ولكـي يحـث ويـدفع الله تبـارك وتعـالى المسـلمين إلـى الوفـاء لـم يحـذرهم مـن الإخـلال بـه فقـط، بـل ضـرب لنـا أروع وأسـمى نمـوذج فـي الوفاء، قال تعالى ﴿**وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ**﴾[التوبة، الآية 111]" ﴿1﴾.

2.المدلول الاصطلاحي للوفاء:

إن مفهـوم الوفـاء مـن المفـاهيم القيمـة، وهـو خصـلة اجتماعيـة خلقيـة تتمثـل فـي التفـاني مـن أجـل قضـية مـا، أو شـيء مـا بصـدق خـالص، والوفـاء أصـله الصـدق، حيـث نجـد الوفـاء فـي بعـض الأحيـان يحـط محـط

(1) أحمد حسن القواسمة، منظومة القيم الجامعية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،دت، دط، ص 155.

أو منزلــة الواجــب، وقــد جــاء الجرجــاني فــي قــول لــه أن: "الوفــاء هــو ملازمــة طريق المواساة ومحافظة عهود الخلطاء"[1].

ونجــد أيضــا مســكويه قــد تحــدث عــن الوفــاء، فعنــده يــرى بأنــه ســلوك عملــي ينبغــي أن يؤديــه الفــرد نحــو مــن يحــب أو يعاشــر أو يصــادق، "وأن الوفاء بمثابة العدالة التي تقوم على إعطاء كل صاحب حق حقه"[2].

ويقــول بهــذا الخصــوص: "إذا أوفــى كــل واحــد مــنهم حقــه وقســطه مــن المحبــة والخدمــة والنصــيحة كــان عــادلا أوجبــت لــه محبتــه وعدالــة فيهــا محبته لصاحبه ومعامله"[3].

مــن خــلال التعريــف الــذي جــاء بــه مســكويه، فــإن الوفــاء كالعدالــة فــي إعطــاء كــل ذي حــق حقــه، ويكــون بــين المحبــين ســواء فــي المعاملــة أو إعطائه قسم من المحبة.

ونجــد مســكويه قــد ربــط بــين المــودة وبــين الوفــاء بــالرغم مــن الاخــتلاف الشــائع بينهمــا، فيقــول: "فــالمودة ســلوك ينبــع مــن الإنســان تلقائيــا نحــو مــن يحــب دون إجبــار، ودون التقييــد بوقــت معــين أو موقــف معــين، والوفــاء هــو الــذي لا يظهــر فعلــه الحقيقــي إلا تعــرض مــن يحــب أو يصــادق لتجربــة مــا أو اختبار يهز من مكانته الاجتماعية"[4].

فــي هــذا القــول بينــا مســكويه العلاقــة التــي تــربط بــين المــودة والوفــاء، رغــم الاخــتلاف الــذي يكمــن بينهمــا، فعلــى حــد قولــه فــالمودة هــي ســلوك لا إرادي يــأتي مباشــرة دون قيــد معــين لــدى الإنســان نحــو مــن يحــب، والوفــاء

---

(1) علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، قاموس لمصطلحات وتعريفات (علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو)، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،دت، دط، ص 212.

(2) أبو علي أحمد بن محمد مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف، القاهرة،1959، دط، ، ص 153.

(3) المرجع نفسه، ص 154.

(4) محمد محمد بالروين، المحبة القيمة الرابعة (أبحاث في علم القيم)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2006، ط1، ص 200.

هــو إظهــار حقيقــي لتجربــة خاضــها أو تعــرض لهــا مــن طــرف مــن يحبــه أو يصادقه.

والــذي يبــدو أن مســكويه يجعــل مــن هــذين المفهــومين الــود والوفــاء متــرادفين لموضــوع واحــد، وهــو يعطــي خاصــية الوفــاء للمــودة ويكــاد يجعــل مــن هــذه الخاصــية تعريفــا للوفــاء وهــذا مــا نجــده فــي قولــه: "... ومــا أعســر وجود صداقة يوثق بها عند البلوي"[1].

وذلــك لأن الصــداقة والحــب الــذي يوثــق بــه عنــد البلــوي تعرفنــا علــى تسمية وفاءً.

ومــن الــذين تحــدثوا عــن مصــطلح الوفــاء نجــد ابــن حــزم الأندلســي، حيــث قســم الوفــاء إلــى مراتــب، وأول هتــه المراتــب نجــده فــي الوفــاء المتبــادل بين الأطراف المتحابة.

ويقــول ابــن حــزم فــي هــذا النــوع: "وأولــى مراتــب الوفــاء أن يفــي الإنســان لمــن يفــي لــه وهــذا فــرض لازم وحــق واجــب علــى المحــب والمحبــوب، لا يحــول عنــه إلا خبيــث المعتــد لا أخــلاق لــه ولا خيــر عنده"[2].

لقــد بــين لنــا أولــى مراتــب الوفــاء علــى حســب تقســيمه وعلــى حــد قولــه فــإن الوفــاء هنــا يكــون متبــادل بــين المحــب والمحبــوب، وهــو حــق واجــب وعلى الإنسان أن يقوم بواجبه اتجاه من يقيم له هذا الوفاء.

ويقــول أيضــا ابــن حــزم فــي كتابــه طــوق الحمامــة بــأن: "الوفــاء والحتميــة والإجبــار أمــور متعارضــة تمامــا لأن الوفــاء موقــف نفســي وذاتــي

---

(1) المرجع السابق، ص 200.

(2) ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ت: فاروق سعد، بيروت، ص 102.

والتـــزام خلقـــي نـــابع مـــن ذات الإنســـان ولـــيس مفروضـــا عليـــه مـــن ســـلطة خارجة عنه"[1].

فهنـــا يبـــين لنـــا بـــأن الوفـــاء موقـــف ذاتـــي وجـــداني والتـــزام مـــن نفـــس الإنسان وليس موقف نابع من سلطة حاكمة عليه.

وثـاني مرتبـة عنـد ابـن حـزم وهـو مـا يسـميه الوفـاء عنـد الغـدر، ونجـد مـا جـاء بـه فـي قولـه بخصـوص هـذا "ثـم مرتبـة ثانيـة وهـو لمـن غـدر، وهـي للمحـب دون المحبـوب ولـيس للمحبـوب هاهنـا طريـق ولا يلزمـه ذلـك، وهـي خصـلة لا يطيقهـا إلا جلـد قـوي واسـع الصـدر والـنفس عظـيم الحلـم جليـل الصبر حصين العقل ماجد الخلق سالم النية"[2].

نجـد فـي هـذه المرتبـة والتـي هـي الوفـاء عنـد الغـدر، ويعنـي فـي قولـه مقابلة السيئة بالحسنة.

فـإذا وقـع اليـأس يـتحكم الغـيظ حينئـذ والسـلامة مـن غـرك، والأمـن مـن ضـرك والنجـاة مـن أذاك، وأن يكـون ذلـك مانعـا مـن شـفاء الغـيظ فيمـا وقـع، فرعـي الأذمـة الحـق وكيـد علـى أهـل العقـول والحنـين إلـى مـا مضـى...." [3].

كمـــا قـــد ذهـــب صـــاحب كتـــاب الموســـوعة الجامعـــة فـــي الأخـــلاق والأدب أن الوفاء نوعين: والمتمثل في الوفاء الحسي، والمعنوي.

"**النوع الأول: الوفاء الحسي.**

ومعنـــاه إتمـــام الشـــيء، والإيفـــاء بـــه، ويكـــون فـــي أداء التكـــاليف الشرعية من عقود وعهود وغير ذلك.

---

(1) المرجع السابق، ص 102.

(2) المرجع نفسه، ص 103.

(3) محمد محمد بالروين، المحبة القيمة الرابعة، أبحاث في علم القيم، ص 204.

النوع الثاني: الوفاء المعنوي.

ويتعلـق بـأدب التعامـل مـع الآخـرين مـن صـلة وبـر الوالـدين وغيـر ذلك"[1].

وقيـل أن لوفـاء أنـواع عديـدة، "باعتبـار المـوفى بـه فهـي تكـون وفـاء بالعهد، وقد تكون بالوعد"[2].

3.الوفاء في الشعر العربي:

يعتبـر الوفـاء مـن أخـلاق العـرب الأصـيلة، وقـد كـان هـذا الخلـق متعـدد الأشـكال والألـوان، فوفـاء لمـن يجـاورون، وفـاء لمـن يعاهـدون، ووفـاء لمـن يحبـون، ووفـاء لمـن يصـنع معهـم معروفـا، ولـم تكـن أخـلاق القـوم صـورة فقـط، بـل كـان واقعـا يضـربون بـه المثـل، فـإن قصـص الوفـاء فريـدة فـي كـل عصـر مـن العصـور التـي مـرت، وبدايـة عنـد أصـل الجاهليين:

أ.الوفاء في العصر الجاهلي:

إن قصـص الوفـاء كثيـرة عنـد أهـل الجـاهليين، ونكتفـي بنمـاذج منهـا قصـة "امـرئ القـيس؛ فـي مـدح غـوير بـن شـجفة بـن عطـاء مـن بنـي تمـيم، وهو يقول

هم أبلغوا الحي المضلل أهلهم وسارو بهم بين العراق ونجوان

فقد أصبحوا والله أصفاهم به أبر بميثاق وأوفى بجيران"[3].

---

(1) أنظر: سعود لخزيمي، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، مج 1، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003، ط1، ص 2027.

(2) سعد يوسف محمد أبو عزيز، موسوعة الأخلاق الإسلامية للمسلمين عامة وللخطباء خاصة، ج3، المكتبة التوفيقية، دت، دط، ص 453.

(3) أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشمتري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ج1، دت، ط3، ص 33.

وقال أيضا وهو ينازع الحارث النؤوم البكري:

"يدْعى صَقِيلاً، وَهْوَ لَيْسَ لَهُ عهدٌ بتمويه ولا صقل

عفتِ الديارُ فما بها أهلي وَلَوتْ شَمُوسُ بَشاشَةَ البَذْلِ"[1].

وقال في ذكر انتشار الغدر بين بعض القوم:

"إذا قُلتُ هَذا صاحِبٌ قَد رَضيتُهُ وَقَرَّت بِهِ العَينانِ بُدِّلتُ آخَرا

كَذَلِكَ جَدّي ما أُصاحِبُ صاحِباً مِنَ الناسِ إلّا خانَني وَتَغَيَّرا"[2].

أمـــا عنـــد الشـــاعر "**علقمـــــة الفحـــــل**" فقـــد جـــاء فـــي قولـــه وهـــو يعـــارض امرئ القيس:

"طَعتَ الوُشاةَ والمُشاةَ بِصُرمِها فقد أنهَجَت حِبالُها للتّقَضُّبِ

وقد وَعَدَتكَ موعِدا لو وَفَت به كَموعودِ عُرقُوبٍ أخاه بِيَثرِبِ"[3].

فهنـــا ذكـــر نـــوع مـــن أنـــواع الوفـــاء والمتمثـــل فـــي الوفـــاء بالوعـــد وذلـــك فـــي كلمة (موعدا كموعد).

---

(1) المرجع السابق، ص 48.

(2) المرجع نفسه، ص 52.

(3) الأعلم التنمري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، مرجع سابق، ص 58.

وكذلك ما يبثه أوس بن حجر من خلجاته الذاتية في قوله:

"فإنّي رَأيْتُ النّاسَ إلاّ أقلَّهُمْ خِفافَ العُهودِ يُكثِرُونَ التنقّلا"[1].

فالشـــاعر أوس بـــن حجـــر يـــذكر لنـــا نـــوع آخـــر مـــن أنـــواع الوفـــاء وهـــو الوفاء بالعهد، في كلمة (العهود).

ومـــن الشـــعراء الجـــاهليين نخـــص أيضـــا بالـــذكر **النابغـــة الـــذبياني**، حيـــث يمتـــاز شـــعره ببلـــوغ غايـــة الحســـن والجـــودة ونقاوتـــه مـــن العيـــوب وجـــودة مطـــالع قصـــائده وآخرهـــا، وكـــان البـــدو مـــن أهـــل الحجـــاز يحفظـــون شـــعره ويفـــاخرون بـــه لحســـن ديباجتـــه وجمـــال رونقـــه، أجـــاد فـــي المـــدح كمـــا بلـــغ الغايـــة فـــي الاعتـــذار واعتزازاتـــه إلـــى النعمـــان مـــن عيـــون الشـــعر العربـــي وهـــي فـــن جديـــد مـــن فنـــون الشـــعر الجـــاهلي، وتبلـــغ غايـــة الجـــودة والإحســـان ومنها قوله:

"أُنْبِئْتُ أنّ أبا قابوسَ أوْعَدَني ولا قرارَ على زأرٍ منَ الأسدِ"[2].

وقال أيضا:

"وأنت ربيع ينعش الناس سيبه وسيفٌ أعيرته المنية قاطعُ
أبى الله إلا عدله ووفاءه فلا النكر معروفٌ ولا العرف ضائعُ"[3].

---

(1) جليل رشيد، القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي، مركز التحقيقات، مجلة أدب الرافدين، عدد 7، 1976، ص 521.

(2) المرجع نفسه، ص 73.

(3) المرجع نفسه، ص 74.

ب.الوفاء في عصر صدر الإسلام:

وكذلك نجد قصص الوفاء كثيرة ونكتفي بنماذج منها:

نجد أنس بن رنيم، فإنه كان هجا الرسول صل الله عليه وسلم ثم ثاب إلى رشده، فقدم عليه معتذرا، وأنشده أبياتا مدحه بها، يقول في تضاعيفها.

"وما حملت من ناقة فوق رحلها أبَرَّ وأوفى ذمةً من مُحمدِ"[1].

وكذلك نجد من الشعراء في عصر صدر الإسلام الحطيئة وهو يقول في بني أنف الناقة:

"أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى .... إعاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها ....وإن غضبوا جاء الحفيظة والجدُ"[2].

جـ.الوفاء في العصر الأموي:

من شعراء هذا العصر الأخطل وجرير والفرزدق، ونجد من قصائدهم ما يحتوي على الوفاء في أبياتهم حيث نذكر من ذلك، ونذكر بالأحرى نموذجا للأخطل في قصيدة بعنوان "وفاء للفرزدق"، يقول:

"أيا راكبا إما عرضت بلغنا بنانة بالحضين، وابن الملحق وعمران، أن أدوا الذي قد رأيتم وأعرضكم موقورة لم تمزق آلام تعلم، يا قوم أبي وراكم فما يرتقى حضني إليكم وحندق وما أنا إن عدت معدق قديمها بمنزلة المولى ولا المتعلق"[3].

---

(1) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، ج2، القاهرة، مص، 1963، ط7، ص 52.

(2) المرجع نفسه، ص 98.

(3) غياث بن غوث بن طارقة أبو مالك الأخطل، ديوان الأخطل، ت مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، م1، ط2، 1994، ص 217.

فهنـــا نظـــم الأخطـــل هـــذه الأبيـــات متفـــاخرا بأصـــالته فـــي العـــرب وبوفائـــه لعهد الفرزدق.

د.الوفاء في العصر العباسي:

مـــن شـــعراء هـــذا العصـــر نجـــد البحتـــري، فهـــو كـــذلك قـــد وظـــف فـــي قصـــائده الوفـــاء ونكتفـــي بـــذكر نمـــاذج منهـــا، ونـــرى البحتـــري ينجـــز وعـــده فـــي بعـــض شـــعره، ويـــنجح فـــي وصـــله بـــالفتح ويمدحـــه، وينـــال جـــوائزه ولكـــن عينـــه لا تـــزال طامعـــة إلـــى مـــدح المتوكـــل، ويلـــوح للفـــتح بطموحـــه، ويعـــده الفـــتح ويتعجله أن يفي بوعده في غير قصيدة من مثل قوله:

"وَعَدْتَ، فأوْشِكْ نُجْحَ وَعدِكَ، إنّهُ منَ المَجْدِ إعجالُ المَوَاعِيدِ بالنُّجحِ

وأنتَ تَرَى نُصْحَ الإمامِ فَرِيضَةً،, وإخْبَارُهُ عَنّي سَبيلٌ منَ النُّصْحِ"[1].

ونجـــد كـــذلك فـــي هـــذا العصـــر "ابـــن الرومـــي"، وهـــذا مـــا قـــال فـــي مـــدح بعض ممدوحيه:

"أوفَى بأعلى رتبةٍ وتواضعتْ آلاؤُه فأحطن بالأعناقِ

كالشمس في كبدِ السماءِ محلُّها وشعاعُها في سائرِ الآفاقِ"[2].

---

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي–العصر العباسي (2)، دار المعارف، القاهرة، مصر،1973 ،ط2 ، ص 274.

[2] المرجع نفسه، ص 315.

و.الوفاء في الأندلس:

قـــد افتـــتن الأندلســـيون بالشـــعر افتتانـــا عظيمـــا، فشـــغل بـــه الخاصـــة والعامـــة علـــى الســـواء فكـــان الملـــوك والأمـــراء والعامـــة ينظمـــون الشـــعر ويتســـاجلونه، وكـــان الأدب كفـــيلا برفـــع صـــاحبه إلـــى أســـمى الـــدرجات، ونلاحـــظ أن الشـــعراء الأندلســـيون قـــد بـــرزوا قصـــص الوفـــاء ضـــمن أشـــعارهم وقصـــائدهم، وإن دراســـتي التطبيقيـــة أخصـــها بالشـــاعرة الأندلســـية، التـــي تعتبـــر أول أســـتاذة لـــلأدب فـــي هـــذا العصـــر وهـــي "**ولادة بنـــت المســـتكفي**"، وتمظهرات الوفاء في أشعارها وقصائدها.

ونكتفـــي بـــذكر نمـــاذج لـــبعض شـــعراء هـــذا العصـــر، إذ نجـــب ابـــن زيـــدون الـــذي دفعـــه الماضـــي إلـــى محاولـــة التشـــبث بـــه، وذلـــك مـــن خـــلال التعهـــد لـــولادة بالمحافظـــة علـــى حبـــه لهـــا وعـــدم الاستعاضـــة عنهـــا، ونلاحـــظ أنه في هذه الأبيات التي خصها بها بالحب والوفاء يقول:

"دومي على العهدِ، ما دُمنا، مُحافِظةً فالحرُّ مَنْ دانَ إنْصافاً كما دينَا"[1].

وقال أيضا:

"بُكي وَفاءً، وَإنْ لم تَبْذُلي صِلَة فَالطّيفُ يُقْنِعُنَا، وَالذّكر يكفِينَا"[2].

فهنـــا فـــي هاتـــه الأبيـــات يلـــتمس مـــن ولادة أن تحـــافظ علـــى عهـــده كمـــا حافظ على عهدها.

كمـــا تتضـــح صـــورة الوفـــاء جليـــا فـــي قصـــيدة نظمهـــا ابـــن زيـــدون تحـــت عنـــوان "**ذكرتـــك بـــالزهراء مشـــتاقا**"، ونخـــص بالـــذكر بعـــض الأبيـــات تبـــين صورة الوفاء لعشيقته وحبيبته ولادة، يقول:

---

[1] صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2009، ط2، ص 71.

[2] المرجع نفسه، ص 71.

"لوْ كَانَ وَفّى المُنى ، في جَمعِنَا بكمُ لكانَ منْ أكرمِ الأيّامِ أخلاقَا

يا علقيَ الأخطرَ، الأسنى ، الحبيبَ إلى نَفسي، إذا ما اقتنَى الأحبابُ أعلاقَا

كان التَّجاري بمَحض الوُدّ، مذ زمَن، ميدانَ أنسٍ، جريْنَا فيهِ أطلاقَا

فالآنَ، أحمدَ ما كنّا لعهدِكُمُ سلوْتُمُ، وبقينَا نحنُ عشّاقَا"[1].

ثـم ينتقـل الشـاعر إلـى عـرض مـا يمكنـه مـن وفـاء وويبثهـا آلامـه ولوعتـه ويبـين فـي بيـت جميـل أن الحـزن- لـو تأسـس- كـاد يقضـي عليـه، ويعـود إلـى وصـف أيـام هنائـه وأنسـه، ويقارنهـا بحالتهـا الراهنـة فأيامـه الحاضـرة سـود، بينمـا كانـت لياليـه معهـا بيضـاء، ويؤكـد أن النـأي لا يغيـره، ولن يني ذلك العهد الرطيب.

فيقول:

"ليسقِ عهدكم عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

لا تحسبوا نَأْيكم عنا يُغيِّرنا أن طالما غيَّر النأي المحبينا "[2].

ومـن الشـعراء الـذين ضـربوا أجمـل الأمثلـة وأروعهـا فـي الوفـاء فـي العصـر الأندلسـي، ابـن لبانـة محمـد بـن عيسـى اللخمـي، ويمكـن الوقـوف علـى الأشـعار التـي نظمهـا فـي المعتمـد ابـن عبـاد الـذي يعـد مـن أشـهر ملـوك الطوائـف فـي العصـر الأندلسـي بعـد محنتـه ووقوعـه فـي الأسـر فـي محاولـة الكشـف عـن دوافـع وفائـه الكبيـر لـه، ونـذكر بعـض نمـاذج لمـا جـاء في قصائده عن الوفاء.

---

(1) يوسف عيد، دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد والحضارة والأعلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، ناشرون، طرابلس، لبنان، 2006، دط، ص 857.

(2) ابن زيدون، ديوانه ورسائله، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، مكتبة النهضة، مصر، 1957، ط1، ، ص 144.

منها قوله:

"ليت لي قوة أو آوي لركن فترى للوفاء مني سرا
أنت علمتني السيادة حتى ناهضت همتي الكواكب قدرا
ربحت صفقة أزيل برود عن أديمي بها وألبس فخرا
وكفاني كلامك الرطب نيلاً كيف ألفى درا وأطلب تبرا!" [1].

ممـــا تقـــدم يتبـــين لنـــا أن فضـــل المعتمـــد بـــن عبـــاد كـــان كبيـــرا علـــى ابـــن اللبانة، حيث أكرمه وقدم له العطاء الكبير.

وقال أيضا:

"زمان بماء المكرمات مفضّض لديك ومن نار الكؤوس مذهّب" [2].

ففـــي هـــذه الأبيـــات يـــذكر بأنـــه بقـــي وفيـــا لحبـــه بـــالرغم مـــن كـــل الأخطـــار التي لقيته، فقد حاول مجاهدا الحفاظ على قلادته الذهبية ولادة.

---

(1) ابن لبانة محمد بن عيسى اللخمي، ديوان ابن لبانة مجموع شعره، جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد، دار الراية، الأردن2008، ط2، ، ص 63-64.

(2) المصدر نفسه، ص 65.

وبنـــاء علـــى ذلـــك فالوفـــاء هـــو خلـــق عظـــيم يبعـــث علـــى إتمـــام الحـــق والبعـــد عـــن الغـــدر بشـــكل يـــؤدي إلـــى المحافظـــة علـــى العهـــد مـــع الله تعـــالى والرســـول صـــلى الله عليـــه وســـلم، ويكـــون مـــع الـــنفس ومـــع النـــاس ســـواء أكـــان ذلك قولا أو فعلا...

وقـد جـاء فـي قولـه تعـالى ﴿**وَمَـــا تُنفِقُـــوا مِـــنْ خَـــيْرٍ يُـــوَفَّ إِلَـــيْكُمْ وَأَنـــتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾[سورة البقرة، الآية 172].

ومنهـــا فالوفـــاء نوعـــان، مـــا هـــو حســـي ومتعلـــق بـــالعهود والعقـــود فـــي أداء التكـــاليف الشـــرعية، ومنهـــا مـــا هـــو معنـــوي والـــذي يتعلـــق بالمعاملـــة مـــع الآخـــرين، بـــين المحبـــين والأصـــحاب وغيرهـــا...، كمـــا أن الوفـــاء مـــن القـــيم الأخلاقيـــة لـــدى العـــرب، وهـــي قصـــص فريـــدة نجـــدها عبـــر العصـــور، حيـــث نجـــد كـــل عصـــر يتـــألف بصـــورة الوفـــاء فـــي أشـــعارهم أو فـــي قصـــائدهم، وذلـــك علـــى حســـب نـــوعي الوفـــاء، ســـواء أكـــان حســـي أو معنـــوي، ويتبـــين لنـــا ذلـــك مـــن خـــلال ذكرنـــا لـــبعض نمـــاذج لـــبعض الشـــعراء ضـــربوا أجمـــل الأمثلـــة وأروعها في الوفاء.

الفصل الثاني

1. حياة ولادة بنت المستكفي

أ. أسرتها

ب. نشأتها ومجالسها الأدبية

ج. صفاتها وقيمتها الأخلاقية

د. شعرها

و. وفائها

2. ولادة بين الغزل والوفاء

3. ولادة بين العتاب والهجاء

4. ولادة في شعر ابن زيدون بين الوفاء والذكريات

1.حياة ولادة بنت المستكفي:

تعتبر ولادة من أهم الشخصيات القوية والثقافية الواسعة، ففي أخبارها لذة ومتعة ولكن الأهم في حياتها؛ قصة الحب التي عاشتها مع ابن زيدون الشاعر الوزير، وإن قصائدها مرآة عاكسة لصورة حياتها النفسية كما يتبين في بعض قصائدها الغزلية قيمة من القيم الأخلاقية المتمثلة في الوفاء الذي يبعث على إتمام الحق والبعد عن الغدر، وهذا ما يدفعنا إلى الإطلاع على حياتها التي تنعكس على أشعارها ونبدأ بأسرتها والوسط الذي عاشت فيه.

أ.أسرتها:

"هي أديبة شاعرة ظريفة أميرة من البيت الأموي بالغرب الإسلامي تتصل بسلسلة أجدادها بعبد الرحمان الداخل من بني عبد المالك مروان وهي ابنة الخلفية محمد بن عبد الرحمان الناصري الملقب المستكفي، وقد تولى الخلافة سنة 414هـ، كان أبوها ساقط الهمة، ضعيف الرأي مشهورا بالتخلف والانغماس في الشهوات ثائر عليه أهل قرطبة، فرّ متخفيا بين امرأتين فدس له أحد الضباط السمّ، فمات ولم تدم سلطة المستكفي سوى مدة قصيرة هذا يؤكده إبن عبد ربه في قوله: "ثم بويع أبو القاسم عبد الله بن علي المستكفي في صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة فكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهرة أيام.."[1].

ويتفق إبن عذاري مع ابن بسام في وصف المستكفي خلقيا ويضيف في وصفه الخارجي فيقول: "هو ربعة أشهر، أزرق، أشم،

[1] سعد بو فلاقة، النرجسية في شعر نزار قباني، وحدة بن بولعيد، باتنة، 1994م،دط، ص81.

مدور الوجه واللحية، ضخم الوجه والجسم، كبير البطن، صاحب أكل وشرب، وجماعة وتخلف"[1].

وكان قد تزوج من أمة مسيحية حبشية هي "بنت سكري المورويه ولعلها أم ولادة، فنشأت على سنة أمها في سهولة الحجاب وورثت عنها شعرها الأصهب، وعينيها الزرقاوين وجمال قوامها"[2].

ب.نشأتها ومجالسها الأدبية:

لقد بخلت علينا المصادر التي أرخت لحياتها بذكر السنة التي ولدت فيها شاعرتنا، ولكن ذكرت السنة التي توفيت فيها، "ولكن قد اتفق كل من ابن بشكوال في الصلة والضبي على أنها توفيت يوم الاربعاء من صفر سنة 484هـ، فيكون مولدها قريب من سنة 386هـ"[3].

وكانت ولادة قد أخذت قسطا وافرا من التعليم قبل وفات أبيها حيث أحضر لها العلماء المثقفين وحدب على تربيتها لكنها ورثت عنه وعن أمها الشريرة ميلها غلى المرح والتحرر من قيود المجتمع، وفتحت أبواب قصرها للأدباء والشعراء ورجال الفكر فصار صالونا أدبيا يتهافت عليه الشعراء والكتاب، ومن الوزراء والأمراء والعلماء والقضاة والولاة، يتجاذبون الأدب وكانت ولادة بمثابة الحاكم الذي يقف الأدباء عند حكمه ويضع الشعراء لوجهة نظره ورأيه[4].

فكانت "مجالسها بقرطبة منتدى الأحرار، مصر، وقناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها وبين لها أفراد

---

[1] المرجع السابق، ص82 .

[2] المقري أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحق:إحسان عباس، دار صادر، بيروت،ج1-3-4-7،1968م،ط1،ص180.

[3] سعد بو فلاقة ، النرجسية في شعر نزار قباني، ص82.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص83.

الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها، وكرم نسبها وطهارة ثوبها"[1].

وهكذا كان منتدى ولادة بنت المستكفي الذي تجمع فيه بين الجمال والأدب وأناقة الشعر وحلاوة الردّ، ورفيع الغناء، وحسن المعشر ولذلك يصح أن نطلق عليها من أعظم ربات الصالونات الأدبية في الأدب العربي.

"واشتهرت بأخبارها مع ابن زيدون، وابن عبدوس فكان يهويانها وهي تود الأول وتكره الثاني"[2].

وكانت ولادة كثيرة العبث بابن عبدوس أول الأمر وقد حاول مرارا الإنفراد بها فكانت تهرب من خلوته فيتنذر به ابن زيدون فيقول له:

"وَغَرَّكَ، مِنْ عَهْدِ وَلاّدَة سَرَابٌ تَرَاءى ، وَبَرْقٌ وَمَضْ

تَظُنّ الوَفَاءَ بِهَا، وَالظُّنُونُ فِيهَا تَقُولُ عَلى مَنْ فَرَضْ

هيَ الماءُ يأبَى على قابضٍ وَيَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مَنْ مَخَضْ"[3].

وعلم ابن زيدون أن ابن عبدوس أرسل إلى ولادة امرأة ستميلها إليه فكتب إليه رسالته الخالدة على لسان ولادة، وهي الرسالة الهزلية التي أحدثت أثرها فقد كف ابن عبدوس من ملاحقة ولادة وانصرف بجهده إلى تأليف ابن زيدون، وبقى ابن عبدوس يطارد ابن زيدون في حب

[1] المرجع السابق، ص83.
[2] محمد عبد الرحيم، موسوعة روائع الأدب العربي (الامثال، الحكم، وأشعاروقصص المودة والغزل عند العرب)، دار الراتب الجامعية، بيروت ،لبنان، دت، دط، ص207.
[3] المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص209.

ولادة حتى أدركته المنية، ولم يكن ابن عبدوس في مستوى ابن زيدون أدبا وأظرف ثقافة وجمالا إلا أنه كان يفوقه دهاءا، وقد حملت هذه الصفات بذور فناء هذا الحب التي لم يكتب له العيش سوى فترة وجيزة سرعان ما حل مكان الحب والهجرة واللوم والسخرية[1].

جـ.صفاتها وقيمتها الأخلاقية:

فالمصادر القديمة حافلة بوصف جمالها، ويقول ابن نباتة نقلا عن الذخيرة لابن بسام: "إنها كانت في نساء أهل زمانها واحدة أقرانها حضور شاهد وحرارة أو أبدا، وحسن المنظر، ومخير وحلاوة ومورد ومصدر يعشو أهل الأدب إلى ضوء، ويتهالك الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها..."[2].

وصفات ولادة في المصادر القديمة جميلة، وإن كانت ليست على جمال فائق وهي في ديوان ابن زيدون فائقة الجمال، ساحرة إن كنا لا نأخذ بوصف ابن زيدون لها لأن العاشق لا يرى في معشوقته إلا التحرر الجمال الرائع ويقول ابن زيدون واصفا جمال حبيبته:

وَفِي السَّرَّاءِ* الرَّقْمِ وَسَطَ قِبَابِهِمُ بَعِيدُ مَنَاطِ القُرْطِ أحوار أوطف.

تَبَايَنَ خَلْقَاهُ فعبل*...منعم تَأَوَّدَ فِي أعْلَاهُ لدن مُهَفْهَفِ.

فللعانك*... المرتج ما جاز مئزر وللغصن المهتز ما صم مطرق.[3]

*السراء: نوع من الشياب فيه خيوط صفراء ويخالط الحرير والذهب الخالص.
*عبل: الضخم.
*العانك: المرأة السمينة.

[1] ينظر:ابن زيدون، ديوانه ورسائله، تحق:علي بن عبد العظيم، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر،1957م،ط1،ص26.
[2] ابن نباتة المصري، شرح العيون في شرح رسالة بن زيدون، تحق:أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1964م،ط1، ص21.
[3] ابن زيدون، ديوانه ورسائله، ص31.

د.شعرها:

فهي شاعرة وأديبة كانت تخالط الشعراء، وتجالسهم، فيقول الضبي عنها: "أديبة، شاعرة جزلة القول، مطبوعة الشعر وكانت تخالط الشعراء، وتجالس الأدباء وتفوق البرعاء"[1].

وشعرها الذي وصلنا يقسمه معظم الكتاب إلى قسمين: شعر غزلي وشعر هجائي، فالشعر الغزلي يتميز بأنه جميل الصناعة، حسن عذب الألفاظ، أما شعرها الهجائي فهو عبارة عن فحش وقبح.

ويرى محمد الدسيوقي، أن شعرها الهجائي "عبارة عن فحش وقدارة تشبه في ذلك دعبل الخزاعي في بعض قصائدها الهجائية المقذفة الجارحة، وقد تعفف ابن بسام من رواية أبياتها في حين أن المقري لم يتورع عن ذكرها".

و.وفائها:

توفيت ولادة: "بقرطبة سنة 484هـ الموافق ل: 1091م، بعد أن عمرت فتجاوزت الثمانين، وقد ظل ابن عبدوس خلال هذه الأعوام الطويلة، وعمر هو كذلك، فقد كان وفيا لها يعاينها ويحمل عنها إصر الحياة"[2].

كانت حياة ولادة بنت المستكفي مليئة بالأحداث والقصص التي أثرت في شعرها وكَذلك علاقتها التي ربطتها بابن زيدون كانت ظاهرة

[1] الظبي، احمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحق: روحية عبد الرحمن السويفي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م،ط1، ص532.
[2] منصر الديسيوتي، الشعر النسوي في الأندلس، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1978م، دط، ص80.

في قصائدها، وأما ما سأركز عليه في دراستي هو صورة الوفاء في أبياتها وامتدادها لأشعار بن زيدون.

2.ولادة بين الغزل والوفاء:

بالوقوف على بعض الأشعار الغزلية وفي طياتها وفاء لأبي زيدون، جاء في قولها:

أغارُ عليكَ من عيني ومني ومنكَ، ومن زمانكَ والمكانِ

ولو أني خَبَأتُكَ في عُيوني إلى يوم القيامة ما كفاني"[1].

في هذين البيتين يتبين مدى حبها وإخلاصها وكل ما في وجدانها وما تشعر به اتجاه عشيقها، وهنا يتبين ذلك الوفاء لابن زيدون، وهذه دلالة نفسية أكبر.

وهذه أول رسالة كتبتها ولادة لابن زيدون طالبة منه أن تكون زيارتها ليلا لأنه أكتم للسر، فقالت:

"ترقّب إذا جنّ الظلام زيارتي فإنّي رأيت الليل أكتم للسرّ

وَبي منك ما لو كانَ بالشمسِ لم تلح وبالبدر لم يطلع وَبالنجم لم يسرِ"[2].

في هذين البيتين زيارة ابن زيدون لها تكون ليلا، فهنا تكمن تلك العلاقة التي بينهما، وأن الليلة التي زارها فيها حبيبها كانت ليلة تعبير عن مشاعر وعن مكبوتات، فقد باح كل منهما بحبه ووفائه للآخر وكل منهما شكى ما بقلبه، وأن الليل هو الكاتم لسر علاقتهما.

---

(1) أحمد حاجم ربيعي، صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2014م، ط1، ص 36.

(2) المرجع نفسه، ص 35.

ويمكن أيضا أن نذكر ملامح الوفاء في قصيدة لها بعنوان "**ألا هل لنا من بعد هذا التفرق**"، تقول:

أَلا هَل لنا من بعد هذا التفرّق سبيلٌ فيشكو كلّ صبّ بما لقي.

وَقد كنت أوقات التزاورِ في الشتا أبيتُ على جمرٍ من الشوق محرقِ"[1].

نلاحظ في هذين البيتين أن الشاعرة قد خرجت على تقاليدها المتبعة وتتوسل حبيبها وهي تشكو همها وضيق أنفاسها، ولم تعد قادرة على الصبر والشوق له، ويبرهن مرة أخرى عنوان قصيدتها فيلاحظ أن العنوان يؤدي معناه في الحدود المقصودة، فعند قراءة العنوان يتبين مضمون البيتين.

وقالت أيضا:

"فَكيفَ وقد أمسيت في حال قطعة لَقد عجّل المقدور ما كنت أتّقي

تمرُّ الليالي لا أرى البين ينقضي وَلا الصبر من رقّ التشوّق معتقي"[2].

---

(1) يوسف عيد، دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد والحضارة والأعلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2006م، دط ،ص144.

(2) المرجع نفسه، ص 144.

يتبين في هذين البيتين بأنها لم تتحمل الفراق والشوق لابن زيدون، وهي تصف نفسها كقطعة متجمدة تنتظر الوصال حتى ينقضي، ونلاحظ من خلال هذين البيتين حالتها النفسية التي تمر بها لحظة فراقهما.

فهي تحمل في نفسها عاطفة كبيرة إلى درجة المبالغة في شعرها الغزلي لابن زيدون، حتى أنها تعبر عما في وجدانها من شوق ولهفة.

فمعظم قصائدها كانت هجاء وعتابا وبالأخص لابن زيدون، ومعظم أشعارها تلح على الفحش والقبح، فمن خلال دراستي وتحليلي لقصائدها، لاحظت أنها لم تكن وفية كل الوفاء اتجاه عشيقها، حيث كان وفاؤها له خلال فترة قصيرة، وذلك عندما كانت معه فقط.

وأنها لو كانت وفية له لما تبادلت العشق والغرام مع ابن عبدوس، فنلاحظ بان حالتها النفسية أو العاطفية قد تغيرت اتجاه ابن زيدون.

3.ولادة بين العتاب والهجاء:

إن لكل موضوع يصاحبه انفعال ما، والشوق والعشق والوفاء والإخلاص يولد الغزل، والغدر وعدم الإخلاص يولد الهجاء والعتاب، وبذلك يجعل لكل غرض من أغراض الشعر حالة شعورية، وهذا ما جاء به إبن الرشيق القيرواني في قوله "ومن أراد الهجاء فالبغضاء، ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق، ومن أراد المعاتبة فبالإستبطاء"[1].

[1] ابن الرشيق أبو علي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت محمد محي الدين بن الحميد، دار الجيل للطباعة،دت، دط، ص 122.

حيث ربط كل موضوع بحالة شعورية ما، فتتنوع المواضيع وفي حقيقة الأمر تنوع في حالات الشعورية.

فكانت بداية العتاب والهجاء على لسان ولادة لابن زيدون عندما كانت تشكو الغدر والخيانة مع جاريتها (عتبة).

ويستبين ذلك من خلال قصيدة لها والموسومة بعنوان "لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا"، فتقول:

"لَو كنت تنصفُ في الهوى ما بيننا لم تهوَ جاريتي ولم تتخيّرِ

وَتركتَ غصناً مثمراً بجماله وجنحتَ للغصنِ الذي لم يثمرِ

ولقد علمت بأنّني بدر السما لَكن دهيت لشقوتي بالمشتري"[1].

ففي هذه الأبيات الثلاثة تدافع عن جمالها، فجعلت نفسها كأنها بدر في السماء وهو يختال بين النجوم، فهنا نلاحظ بأن حالتها الشعورية قد تنوعت من غزل وشوق إلى عتاب، وهذه الأبيات تتأرجح بين اللين والشدة وذلك لغضبها عليه.

وقد ازداد الهجاء والعتاب في قصائدها بعدما اشتهرت علاقتها وصار ذكرها على كل لسان، فاشتد غضبها حيث حل محل الحب والوفاء والإخلاص والتكبر واللوم والغدر والكبرياء وذلك من طرف ولادة، كانت تبادر في العتاب والهجاء الموجع لابن زيدون.

---

[1] يوسف عيد، دفاتر أندلسية، مرجع سابق، ص 144.

فالمدح والاعتذار والشوق والهجاء يقابلها: الرغبة، الرهبة، الطرب والغضب، إذ نجد ابن الرشيق يقول في موضع آخر "مع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع"[1].

وجاء أيضا في قول ولادة وهي تهجوا ابن زيدون:

"إنّ ابن زيدون له فقحة تعشقُ قضبان السراويلِ

لَو أبصرت أيراً على نخلة صارَت منَ الطيرِ الأبابيلِ"[2].

يتبين في هذين البيتين مدى هجائها لابن زيدون بألفاظ فاحشة، فهي قد رأت أن التذلل والهجران والجفاء السبيل الثاني لتنتقم منه، فهذه الحالة الشعورية المليئة بالألفاظ الفاحشة فهي تنعكس على شخصيتها، ونجد من النقاد الأكفاء الذين تفطنوا إلى علاقة الجانب النفسي بالعملية الإبداعية، عبد القادر الجرجاني يقول: "فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام، يستحسن شعرا أو يستزيد نثرا، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ، ويقول أيضا: حلو رشيق وحسن أنيق، وعذب سائغ، وخلوب رائع، فاعلم أنه ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف وإلى ظاهر

---

(1) ابن الرشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المصدر السابق، ص 90.

(2) الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب، ج4، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م،دط، ص 206.

الوضع اللغوي، بل أمر يقع في المرء في فؤاده، أو فضل يقدحه من زناده"[1].

فهنا يبين لنا عبد القاهر الجرجاني أن القارئ هو الذي يكتشف من خلال قراءته وثنائه على اللفظ شخصية الأديب من العمل الأدبي سواء كان شعرا أو نثرا، وهذا ما يتبين في قصائد ولادة بنت المستكفي.

كانت هجَّاءة مريرة الهجاء، وذلك عندما لقبت ابن زيدون بمختلف الألقاب، وجاء في قولها:

"ولقّبت المسدّس وهو نعت تفارقك الحياة ولا يفارق

فَلوطيّ ومأبون وزانٍ وديّوث وقرنان وسارق"[2].

فولادة قد رمت ابن زيدون واتهمته ونعتته بمختلف النعوت، فهو مأبون، قرنان، ديوث.

قالت بأنه (مأبون) وهي لفظة دالة على العيب، وكذا لفظتا (قرنان-ديوث) وهما نعت لسوء الرجل الذي لا يغار على أهله، وهي ألفاظ تحمل معنى الشتم الصريح لابن زيدون.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مرجع سابق، ص 03.

(2) أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، مرجع سابق، ص 205.

وعندما أحس الشاعر بهذا الجفاء قام ثائرا عليها فهجاها، ولكنها لم تسكت على هذا اللوم والهجاء الذي قدمه لها، فردت عليه تهجوه لائمة فقالت:

إن ابن زيدون على جهله ينتابني ظلما، ولا ذنب لي

يلحظني شزرا إذا جئته كأنما جئت لأخصي علي"[1].

نلاحظ في هذين البيتين أنها قد ردت عليه وبأنفاس قوية وغضب شديد عن ما في شعورها وآلام في نفسيتها اتجاهه، وهي تصفه بالجهل، وتهجوه بألفاظ فاحشة.

4.ولادة في شعر ابن زيدون بين الوفاء والذكريات:

ابن زيدون كلما ازدادت ولادة تدللا، ازداد هو تذللا يتألم ويندم، ومن ثم فهو يحاول أن يصلح ما فتر من علاقته بها ويبين مدى وفائه لها، واسترجاع ذكرياته التي كانت بينه وبين حبيبته، ويعبر عن هذا الشوق والألم الذي يغمره، وللتعبير عن شعوره فقد كان يكتب لها أشعارا تحمل في طياتها مدى حبه ووفائه، فقد كان غزله "حافلا بالاستعطاف والاسترحام، حافلا بالمنجيات الأخرى، والنداءات، إذا فكل كلمة رسالة حب وغرام...، وهكذا كان شعره كلام العاطفة والوجدان يترقرق ترقرق

(1) يوسف عيد، دفاتر أندلسية، مرجع سابق، ص 146.

المـــاء الـــزلال فـــي صـــفاء البلـــور، ولـــين الأعشـــاب علـــى ضـــفاف الغـــدران..." [1].

وهـــذا مـــا ســـأذكره فـــي بعـــض قصـــائده عـــن ولادة، وذلـــك رغـــم مـــا قامـــت به، لكنه لا يزال يتذكرها ولم ينس حبه لها، وهذا ما جاء في قوله:

"بَيْني وبَيْنكَ ما لو شِئتَ لم يَضِع سِرٌّ إذا ذاعَتِ الأسْرارُ لم يَذِع

يا بائِعًا حَظَّهُ مِني ولو بُذِلتْ لي الحَياة بحَظِّي مِنهُ لم أبع

يَكفِيكَ أنَّكَ إن حَمَّلتَ قلبي ما لم تَسْتطِعْهُ قلوبُ النَّاس يَسْتطِع

تِهْ أحْتمِلْ واسْتطِلْ أصْبر وَعِزَّ أهُنْ وَولِّ أقْبِلْ وقُلْ أسْمَعْ وَمُرْ أطِع" [2].

حيـث نجـده فـي موقـف آخـر توسـل مضـن وطـرق علـى الأبـواب عبـر المسافات يطلب الصب من ولادة ويقول لها أيضا:

"دُومِي عَلَى العَهْدِ مَا دُمْنَا محافظة فَالحُرُّ من دَانَ إنصافًا كَمَا دينا" [3].

فهنـــا ابـــن زيـــدون يطلـــب مـــن ولادة أن تضـــل وفيـــة بعهـــدها لـــه، نجـــده فـــي غزلـــه يـــنفس عـــن حبـــه، ويبـــث فيـــه عواطفـــه الحـــارة، ويطلـــق لوجدانـــه

---

(1) حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي –الأدب القديم–، دار يوسف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دت،دط، ص 970.

(2) المرجع نفسه، ص 149.

(3) المرجع نفسه، ص 158.

العنان، ولهذا كان غزله ووفاؤه لها صادقا، معبرا عن خلجات نفسه، وومضات حبه، فإذا نعم بلقاء حبيبته صور النعيم في أشعاره، وهذا ما جاء في قوله:

"كم بات يذري ليله الغريب لم أثني في سكره قضيبا

تشدو حمام خلية تطريبا هصرته حلو الجني رطيبا"[1].

وغاصت في أعماق حب وعشق جديد، وإنما هو للوزير أبو عامر بن عبدوس فبادلته العشق، والغرام غراما، ولذلك فقد تألم ابن زيدون وظل يتوسل ويتضرع لها، ولكن ولادة لم تكترث له وظلت تداول الحب والعشق لابن عبدوس، ويستمر في الأنين والشكوى ويتضح ذلك في قصائده، فحين تأكد من غدرها كتب لها:

"ا مستخفّاً بعاشقيهِ ومستغشّاً لناصِحيهِ

ومَنْ أطاعَ الوشاةَ فينَا حتى أطَعْنَا السّلُوّ فِيهِ

الحَمْدُ للّهِ، إذْ أرَاني تَكذيبَ ما كُنتَ تَدّعِيهِ"[2].

(1) ابن زيدون، ديوان رسائله، ص 75.

(2) المصدر نفسه، ص 40.

في هذه الأبيات يتبين أن ولادة لم تكن وفية له، وأنها كانت على ما كانت تدعيه له من حب وعشق له، فهو هنا ن يعاتبها على ما فعلته.

فالشاعر لا يستطيع التخلي عن هذا الوفاء لأنه سبب من أسباب بقائه، وليودعها وفي نفسه ذلة وانكسار في الجو الذي خلقه، وارتجاف وحسرة وأنين. وهذا ما ذكره في قوله:

"أبْكي وَفاءً، وَإنْ لم تَبْذُلي صِلَة فَالطّيفُ يُقْنِعُنَا، وَالذّكر يَكفِينَا

وَفي الجَوَابِ مَتَاعٌ، إنْ شَفَعتِ بهِ بيضَ الأيادي، التي ما زِلتِ تُولينَا

إليكِ منّا سَلامُ اللّهِ ما بَقِيَتْ صَبَابَةٌ بِكِ تُخْفِيهَا، فَتَخْفِينَا"[1].

في هذه البيات يبين ابن زيدون أنه لا يستطيع التخلي عن هذا الوفاء، وأن الوفاء هو سبب بقائها في نفسه.

كما نجده في قصيدة أخرى يبين الوفاء لها وهذا ما ذكره في قوله:

"لوْ شاء حَملي نَسيمُ الصّبحِ حينَ سرَى وافاكُمُ بفتىً أضناهُ ما لاقَى

لوْ كَانَ وَفّى المُنى ، في جَمعِنَا بكُمُ، لكانَ منْ أكرمِ الأيّامِ أخلاقَا"[2]

(1) المصدر السابق، ص 148.

(2) يوسف عيد، دفاتر أندلسية في الشعر والنثر، مرجع سابق، ص 857.

في هذين البيتين يفسر العهد، فلو أراد نسيم الصبح حمله إلى ولادة لأخذ فتى أنهكته ألسنة الدهر فبات قتيلا بها.

فقد كتب لها متعطفا وكله أملا أن تصله ولو ساعة وأن مقابلتها حياة، يقول:

" خُذْ مِنْ حَيَاتِي يوماً وصلْنِيَ ساعَهْ

كيْمَا أنالَ بقرضٍ مَا لَمْ أَنَلْ بِشَفَاعَهْ"[1].

في هذين البيتين يبين الشاعر بأنه لم تصله ولو رسالة تشفي غليله فأصبحت رسائله لولادة قليلة، بذلك كرامته التي يظن أن ولادة قد داستها بتعاليها وتكبرها ولكن رغم ذلك ظل يحفظ لها الود.

وقال أيضا:

"يا علقيَ الأخطرَ، الأسنى ، الحبيبَ إلى نَفسي، إذا ما اقتنَى الأحبابُ أعلاقَا

كان التَّجاري بمَحض الوُدّ، مذ زمَن ميدانَ أنسٍ، جريْنَا فيهِ أطلاقَا

فالآنَ، أحمدَ ما كنّا لعهدِكُمُ سلوْتُمُ، وبقينَا نحنُ عشّاقَا"[2].

---

(1) المصدر السابق، ص 78.

(2) يوسف عيد، دفاتر أندلسية، مرجع سابق، ص 857.

يبدأ ابن زيدون يستنجد الذكريات في قصائده من خلال صورة أخرى والمتمثلة في رؤيته للطبيعة، ومن المعروف بأنه شاعر الطبيعة في الأندلس، يشخص المعاني في صورة وأشكال البيئة والوانها الجميلة الخلابة تذكر الشاعر جمال حبيبته فنسج قصيدة استمد صورها وأضفى عليها مفاتن حبيبته فخلق قصيدة تنبض بالحياة ومشاعره الفياضة اتجاه ولادة وجسدها، وهذا ما نجده في قصيدة له بعنوان "إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا"، فيقول:

"إنّي ذكرتُكِ، بالزّهراء، مشتاقا، والأفقُ طلقٌ ومرْأى الأرض قد راقَا

وَللنّسيمِ اعْتِلالٌ، في أصائِلِهِ، كأنهُ رَقّ لي، فاعْتَلّ إشْفَاقَا

والرّوضُ، عن مائِهِ الفضّيّ، مبتسمٌ كما شقَقتَ، عنِ اللّبّاتِ، أطواقَا

يَوْمٌ، كأيّامِ لَذّاتٍ لَنَا انصرَمتْ بتْنَا لها، حينَ نامَ الدّهرُ، سرّاقَا"[1].

في هذه البيات نجد الشاعر في حالة لا يحسد عليها، فكان في منفاه وحيدا، بعيدا عن أهله ووطنه، وقد فر من سجنه والحبيبة قد هجرته، فلم يجد الشاعر سوى الطبيعة الساحرة، فوجد إحساسا مرهفا وقلبا منفتحا له.

لقد ضمن الشاعر هذه القصيدة عصارة نفسه، فجسدت مأساة من أروع مآسي الحب وأشجاها:

(1) المصدر السابق، ص 106.

"أَضْحَى التّنائي بَديلاً منْ تَدانِينَا وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانَا تجافينَا

ألاّ وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ، صَبّحَنا حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا للحَيْنِ نَاعِينَا

أَنَّ الزَمانَ الَّذي مازالَ يُضحِكُنا أُنساً بِقُربِهِمُ قَد عادَ يُبكينا

لم نعتقدْ بعدكمْ إلاّ الوفاء لَكُمْ رَأياً، ولَمْ نَتقلّدْ غَيرَهُ دِينَا"[1].

في هذه البيات الشاعر يفتح قصيدته بـ "أضحى"، وذلك تصويرا للحالة النفسية التي يعيشها وأنه يعبر في قصيدته عن حزنه الدائم عن حبيبته، ثم ينتقل الشاعر إلى الحديث عن الوفاء وآلامه ولوعته.

وقال أيضا:

"لِيُسقَ عَهدُكُمُ عَهدُ السّرُورِ فَما كُنْتُمْ لأروَاحِنَا إلاّ رَياحينَا

لا تَحْسَبُوا نَأيَكُمْ عَنّا يغيّرُنا؛ أنْ طالَما غَيّرَ النّأيُ المُحِبّينَا

وَاللهِ مَا طَلَبَتْ أهْواؤنَا بَدَلاً مِنْكُمْ، وَلا انصرَفتْ عنكمْ أمانينَا"[2].

في هذه الأبيات نلاحظ أن الشاعر في حسرة تقوده إلى المناجاة من الطبيعة في تشاركه، حيث يحمل النسيم حنينه إلى تلكم التي يحبها.

---

(1) المصدر السابق، ص 141.

(2) المصدر نفسه، ص 142.

ويـــذكر كـــذلك صـــورا للماضـــي الجميـــل الراحـــل وعهـــده الزائـــل مـــع ولادة بنت المستكفي، يقول:

"يا سارِيَ البَرْقِ غادِ القصرَ وَاسقِ به مَن كانَ صِرْف الهَوى وَالوُدَّ يَسقينَا

وَاسألْ هُنالِكَ: هَلْ عَنّى تَذكُّرنا إلفاً، تذكُّرُهُ أمسَى يعنّينَا؟

وَيَا نسيمَ الصَّبَا بلِّغْ تحيّتَنَا مَنْ لَوْ على البُعْدِ حَيّا كان يحيِينا

فهلْ أرى الدّهرَ يقضينا مساعفَة مِنْهُ، وإنْ لم يكُنْ غبّاً تقاضِينَا"[1].

"فـالغزل عنـد ابـن زيـدون حاجـة فـي الـنفس يلبـي نـداءها، وميـل وثـورة فـي القلـب، فهـو رجـل المـرأة الغاويـة التـي لـم تكتـرث بـه ولكنـه يهواهـا إلـى حـد الجنـون والمـرض، فوحـدها رفيقـة حيـاة، كمـا وجـدها موئـل غـدر وعـالم تقلـب وخيانـة، إذا قصـائده هـي هـزيج مـن الشـوق والوفـاء والـذكرى، والآلام، وهكذا كان شعره كلام بين الوجدان"[2].

وهـذا مـا تمكنـت الوصـول إليـه فـي العلاقـة التـي جمعـت ابـن زيـدون وولادة التـي لا تخـرج عـن هـذا الإطـار فقـط، فقـد وقـع كـل منهمـا فـي حـب صـاحبه، فسـاهمت ولادة فـي حـب ووفـاء قصـير لابـن زيـدون، لكنـه رغـم ذلـك لقـد كـان رائعـا فـي أشـواقه وعواطفـه وأحلامـه الجميلـة وظـل وفيـا لهـا، رغـم غـدرها لـه وهجائهـا وعتابهـا باقيـا علـى العهـد، يعـاني لوعـة الصـدود ومنهـا فقـد بقـت هـذه القصـة ونالـت الشـهرة والإثـارة وغـدت مـن قصـص الحب الشهيرة التي ذاع صيتها في الأندلس.

---

[1] المصدر السابق، ص 144.

[2] حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، مج3، ص 231، 232.

خاتمة

مع نهاية بحثي المتواضع تمكنت من استخلاص مجموعة من النتائج بعد الغوص في صفحات المصادر والمراجع وهي الأتي:

1. أن الصورة الشعرية هي الأداة التي ينقل بها الشاعر تجربته الشعرية للقارئ معتمدا على مجموعة من صيغها كتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من الصور التي ترتكز عليها.
2. حازت الصورة الشعرية اهتمام الباحثين الأقدمين والمحدثين، العرب منهم والغرب.
3. الصورة عبارة عن تصوير عاطفي وعقلي ينقله المبدع الى المتلقي.
4. الوفاء قيمة حرص الشعر العربي القديم على تصويرها.
5. غياب الوفاء عند ولادة في مقابل غلبة الهجاء والعتاب في محاوراتها لابن زيدون الذي كان أوفى بكثير منها في ذكرياته التي قد عاشها معها.

كانت هذه أهم ما استوقفني من نتائج ،وإن كانت قليلة،فذلك لما سبقت الإشارة إليه من عدم تمكني من الحصول على المصادر والمراجع المساعدة، ولذالك لو أتيحت لي الفرصة البحث فيه ثانية متى ما توفرت لي مادة معرفية أعمق وأوسع لما كنت سأتأخر. ومع ذلك أدعو غيري من الباحثين التوجه إلى مثل هذا الموضوع الذي اسند إلي لأهميته في الدرس الأدبي القديم.

والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم برواية روش

المصادر:

2. إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، من (هـ إلى ض)، ج1، إسطنبول، تركيا، دط.
3. ابن الرشيق أبو علي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت محمد محي الدين بن الحميد، دار الجيل للطباعة، دط.
4. ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ت: فاروق سعد، بيروت.
5. ابن زيدون، ديوانه ورسائله، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، مكتبة النهضة، مصر، ط1، 1957.
6. ابن لبانة محمد بن عيسى اللخمي، ديوان ابن لبانة مجموع شعره، جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد، دار الراية، الأردن، ط2، 2008.
7. ابن نباتة المصري، شرح العيون في شرح رسالة بن زيدون، تحق:أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1964م،ط1.
8. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، م8، دار صادر، بيروت، لبنان، سنة 1863م، دط.
9. أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، م6، بيروت لبنان، دط.
10. الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام هارون، المجمع العلمي الغربي الإسلامي، بيروت، ج3، 1969م،ط3.
11. الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب، ج4، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.
12. الظبي، احمد بن يحي بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحق: روحية عبد الرحمن السويفي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م،ط1.
13. عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1992،ط3.
14. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ت محمد الفاصلي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، لبنان، 2003م.
15. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، قاموس لمصطلحات وتعريفات (علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو)، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط.
16. غياث بن غوث بن طارقة أبو مالك الأخطل، ديوان الأخطل، ت مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، م1، ط2، 1994.
17. مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974م.
18. محمد مرتظى بن محمد الحسني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ج11، سنة 1971م،دط.
19. المقري أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحق:إحسان عباس، دار صادر، بيروت،ج1-3-4-1968،7،ط1.

20.عبد الله البستاني، البستان، معجم لغوي مطول، مكتبة لبنان للنشر، ط1، 1992.

المراجع:

21.العبيد سليمان علوان، البناء الفني في القصيدة الجديدة، عالم الكتب الحديثة، أربد، الأردن، ط1، سنة 2001م.
22.بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العرب1،بيروت، 1994م،ط1.
23.إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة، 1955م، ط3.
24.أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الشمتري، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ج1، ط3.
25.منصر الديسيوتي، الشعر النسوي في الأندلس، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1978م، دط.
26.أبو علي أحمد بن محمد مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف، القاهرة، دط، 1959.
27.أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، النهضة المصرية، القاهرة، 1973م،ط2.
28.أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الجيل، بيروت، لبنان،دت، دط.
29.أحمد حاجم ربيعي، صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2014.
30.أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، عالم الكتب، ط2، القاهرة، مصر، 1973م.
31.أحمد حسن القواسمة، منظومة القيم الجامعية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط.
32.جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، دار التنوير، بيروت، 1992م،ط3.
33.حسين علي الدخيلي، البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، ك1، 2011م.
34.حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي –الأدب القديم-، دار يوسف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دت،دط.
35.يوسف عيد، دفاتر أندلسية في الشعر والنثر والنقد والحضارة والأعلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، ناشرون، طرابلس، لبنان، 2006.
36.الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دار الشامية، م1، دمشق، بيروت، ط4، 2009.
37.ريتا عوض، بنية الشعر الجاهلي لدى امرؤ القيس، دار الآداب، بيروت، 1992، ط1.
38.سعد يوسف محمد أبو عزيز، موسوعة الأخلاق الإسلامية للمسلمين عامة وللخطباء خاصة، ج3، المكتبة التوفيقية، د سنة.
39.سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1991م،ط1.

40.سي دي لويس، الصورة الشعرية، تر أحمد نصيف الجنابي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982، دط.
41.شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي –العصر العباسي (2)، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1973.
42.شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، ج2، القاهرة، مصر، ط7، 1963، ص 52.
43.صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط2، 2009.
44.عبد الفتاح، الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر للنشر، عمان، 1983م.
45.عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م،ط1.
46.عد بو فلاقة، النرجسية في شعر نزار قباني، وحدة بن بولعيد، باتنة، 1994م،دط.
47.علي الجازم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، 1999م،دط.
48.علي الصبح، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دار الأحياء للكتاب القاهرة، مصر،دت،دط.
49.محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، الإسكندرية، القاهرة،دت، دط.
50.محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة للطباعة، القاهرة، مصر، 1984م،دط.
51.محمد محمد بالروين، المحبة القيمة الرابعة (أبحاث في علم القيم)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
52.مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيروت، لبنان،دت،دط.

الموسوعات

53.أنظر: سعود لخزيمي، الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، مج 1، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2003.
54.محمد عبد الرحيم، موسوعة روائع الأدب العربي (الامثال، الحكم، وأشعاروقصص المودة والغزل عند العرب)، دار الراتب الجامعية، بيروت ،لبنان، دت، دط.

المجلات والملتقيات

55.جليل رشيد، القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي، مركز التحقيقات، مجلة أدب الرافدين، عدد 7، 1976.

مذكرات التخرج

56.بوعامر كريمة، الصورة في شعر السياب أنشودة المطر أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001، 2002.

57.جمال سعادنة، الشعر الجزائري في العهد العثماني، موضوعاته وخصائصه الفنية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2011/2010.

فهرس الموضوعات

واجهة المذكرة.

دعاء.

الإهداء.

شكر وعرفان.

فهرس المحتويات.

فهرس الجداول والأشكال.

مقدمة. أ

مدخل: مفاهيم لمصطلح الصورة

أ.الصورة لغة: 05

1.الصورة الشعرية عند القدماء: 07

2.مفهوم الصورة عند الغرب: 12

1.2.الصورة الشعرية عند اليونان: 12

2.2.الصورة الشعرية عند الغرب المحدثين: 13

3.أنواع الصورة: 14

أ.التشبيه وأبعاده التصويرية: 14

ب.الإستعارة وأبعادها التصويرية: 15

ج.الكناية وأبعادها التصويرية: 16

د.الحس وأبعاده التصويرية: 17

ه.مفهوم الخيال لغة: 18

و.مفهوم الخيال اصطلاحا: 18

الفصل الأول: ظاهرة الوفاء في الشعر العربي.

1.المدلول اللغوي للوفاء: 21

*لفظة الوفاء في القرآن الكريم: 22

2.المدلول الاصطلاحي للوفاء: 22

3.الوفاء في الشعر العربي: 26

أ.الوفاء في العصر الجاهلي: 26

ب.الوفاء في عصر صدر الإسلام: 29

د.الوفاء في العصر العباسي: 30

و.الوفاء في الأندلس: 31

الفصل الثاني: تمظهرات الوفاء في شعر ولادة بنت المستكفي.

1.حياة ولادة بنت المستكفي: 36

أ.أسرتها: 36

ب.نشأتها ومجالسها الأدبية: 37

ج.صفاتها وقيمتها الأخلاقية: 39

د.شعرها: 40

و.وفائها: 40

2.ولادة بين الغزل والوفاء: 41

3.ولادة بين العتاب والهجاء: 43

4.ولادة في شعر ابن زيدون بين الوفاء والذكريات: 47

خاتمة 56

قائمة المراجع

ملخص

ملخص:

شملت هذه الدراسة الموسومة بصورة الوفاء في شعر الولادة بنت المستكفي، مفهوما للصورة وتجلياتها عند العرب والغرب وأنواعها (التشبيه، الاستعارة، الكناية،...)، ثم توجه البحث إلى الوفاء بذكر المفهوم والأنواع، وتجلياته في الشعر العربي بداية من العصر الجاهلي إلى غاية عصر المماليك.

ثم اتسمت الدراسة في الأخير بطابع تطبيقي، ممهدا في بدايته بحياة الشاعرة، إذ اتخذت من قصائد الولادة بنت المستكفي أنموذجا لاستخراج الوفاء والعتاب والهجاء وشرحها حسب السياق الذي وضعت فيه وكذلك استعانت الدراسة بقصائد ابن زيدون بالعلاقة التي تربطه بها، معتمدين في ذلك على الدراسة النفسية.

SUMMARY:-

This study included the description of the fulfillment in the poetry of WALLADA BINT AL-MUSTAQAFI, the concept of the image and its manifestations in the Arabs and the West and its types (metaphor,....). The research then proceeded to fulfill the concept and species, and its manifestations in Arabic poetry, The MAMLUK Age.

Then the study was characterized by the latter in an applied nature, paving the beginning of the life of the poet, as taken from the poems of WALLADA BINT AL-MUSTAQAFI model to extract loyalty and satiety and spelling and explained according to the context in which it was developed and the study used the poems of Ibn Zeidun in the relationship with him, relying on the psychological study